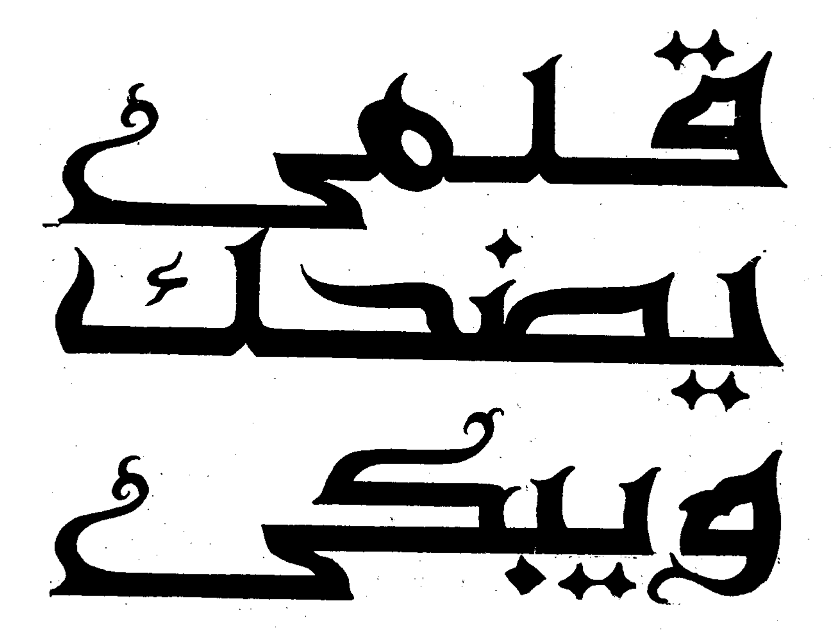
مصطفى أمين

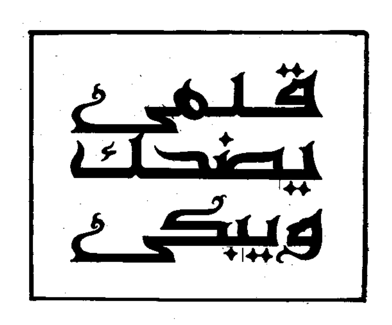
قلبي يضحك ويبكي

المكتب المصري الحديث

مصطفى أمين



المكتب المصري الحديث


قلمي
يضحك
ويبكي

الطبعة الأولى

المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
القاهرة ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت ٣٩٣٤١٢٧
الاسكندرية ٧ شارع نوبار المنشية ت ٤٨٢٦٦٠٢
فاكسيملى القاهرة ٣٤٧٥٤٢٧ (٠٠٢٠٢)

الحكام الذين يأكلون أبناء وطنهم !

دخلت الحكومة الجديدة مطبخ الامبراطور فى قصره الامبراطورى ، ووجدت فى المطبخ عددا من الفريجيدرات (الثلاجات) يحتفظ فيها الامبراطور بمأكولاته الشهية :

وفتحوا احدى الفريجيدرات ليروا ماذا يأكل الامبراطور الطاغية ، الذى ترك شعبه يتضور جوعا ، واقام حفلات التتويج الباذخة . . وفتحوا الفريجيدير الأنيق الأول فوجدوا أربع جثث آدمية ، مقطعة ومحفوظة . واكتشفت الحكومة الجديدة ان الامبراطور المخلوع كان من أكلة لحوم البشر !

وقد سمعنا عن طغاة يشنقون خصومهم ، أو يقتلون معارضيهم رميا بالرصاص ، ولكن هذه أول مرة نسمع فيها ان أحد الطغاة أكل المعارضين !

وهذه صورة جديدة للوحشية التى صبغت حكم هؤلاء الطغاة الذين حرموا شعوبهم ابسط حقوق الانسان والذين لوثوا بجرائمهم سمعة افريقيا كلها .

ان هذه الشعوب المغلوبة على أمرها يوم تخلصت من الحكم الاجنبى تصورت أنها تخرج من السجن الى الحرية ، وتبعث من العدم الى الحياة ، وانها سوف تعامل من أبناء وطنها الحكام الجدد خيرا مما عوملت به على يد المستعمرين الاجانب . . فاذا بها تستبدل بالسوط الانجليزى أو الفرنسى أو الاسبانى أو الايطالى السوط الوطنى وليس صحيحا ان سوط الوطن ارحم من سوط الأجنبى فآلام الضرب واحدة ، ولسعة السوط واحدة ، بل ان الخنجر فى يد أخى يؤلمنى وهو يغمد فى ظهرى أكثر مما يؤلمنى الخنجر وهو فى يد عدوى !

ولا يستطيع المواطن الافريقى المسجون ان يحمد الله على ان قضبان زنزانته مصنوعة من حديد محلى ، ويفضلها على القضبان الأجنبية . فالقضبان واحدة مهما تغيرت امكنة صناعتها . كل واحد منها يقيد الحرية ، ويكتم الانفاس ، ويمرغ كرامة الانسان فى التراب

ان مصر تحمد الله انها تخلصت من كابوس الارهاب والاعتقال السياسى والتعذيب واجازة القانون . . لو ان فى دولة افريقيا الوسطى عدالة لما جرؤ الامبراطور بوكاسا ان يدوس بحذائه على رقبة شعبه ، وان يقتل من يشاء بغير محاكمة وبغير قانون ، وان يأكل لحم مواطنيه فلا يستطيع أحد ان يعترض أو يرفع صوته مطالبا بحقوق الانسان . ان سيادة القانون تحمى المواطن من الجبروت والاستبداد والطغيان . . الانسان الافريقى يحتاج الى ميثاق جديد لحقوق الانسان ، يمنح كل مواطن حريته وحقه فى العدالة ، فلا يحكم عليه الا بواسطة محكمة ولا يوضع فى السجن بغير حكم ، وبعد ان يسمع دفاعه عن نفسه . .

لقد اعلن داكو رئيس الجمهورية الجديد ان بلاده تطالب بتسليم بوكاسا لمحاكمته علنا على جرائم القتل وانتهاك الحريات وسلب ونهب اموال الدولة .

وقررت حكومة غينيا الاستوائية هى الأخرى محاكمة الدكتاتور السابق ماساس على ارتكابه المذابح الجماعية ، ولا شك ان شعوب افريقيا تؤيد هذا الاتجاه ويوم يحدث هذا . . سيتردد طغاة آخرون ان يأكلوا أبناء وطنهم ؟

من حقك أن تقاضى الحكومة

جاءتنى شابة خريجة جامعة ومعها شقيقها الطالب بالثانوية العامة . أبوهما عسكرى شرطة بسيط ، استطاع ان يقتصد من مرتبه الهزيل ثلاثين عاما ، واشترى قطعة أرض صغيرة بنى فوقها بيتا صغيرا . ولم يكد ينتهى من قصر الاحلام الذى يؤويه ويؤوى أولاده السبعة حتى جاءت الحكومة وقالت له ان هذه الأرض من املاك الدولة ، وان عليه ان يدفع ٣٦ جنيها كل عام لتصبح الأرض حكرا . ودفع العسكرى المبلغ مدة سبع سنوات . ثم فوجىء بهم يهدمون البيت ويستولون على الأرض .

وعبثا حاول المسكين ان يجد اذنا تسمع شكواه ، أو عينا تقرأ مظلمته ، أو يدا تجفف دموعه . . واقترح عليه أولاده ان يرفع قضية على الحكومة يطالب بحقه !

والتف حوله الناس يقولون له : هل جننت ؟ هل تجرؤ ان ترفع قضية على الحكومة ؟ سوف تشرد ! سوف ترفت ! سوف تموت جوعا !

وذهبت الابنة خريجة الجامعة الى محام فقال لها أنصحكم ان توفروا فلوسكم ! ستضيعون وقتكم واموالكم . . ولن يستطيع أحد ان ينتزع لكم حقكم من الحكومة !

قلت لهذه الفتاة : هذا المحامى الذى يقول هذا ليس محاميا ! أى محام درس الف ياء القانون يعرف ان من حق أى مواطن ان يقاضى الحكومة . وقد انتهى الزمن الذى كانت فيه مقاضاة الحكومة تؤدى الى السجن أو الى الاعتقال . .

أى محام يعرف ان المحاكم اصدرت فى السنوات الأخيرة احكاما ضد الحكومة ، اما بالتعويض أو الغاء قرارات صدرت أو اعادة املاك اخذت من اصحابها . . بل ان احكاما صدرت بسجن موظفين كبار وحبس رؤساء مجالس شركات لأنهم لم ينفذوا احكام القضاء . .

لن يستطيع أحد اليوم ان يعاقب مواطنا لأنه طالب بحقه ، ولا ان يشرد موظفا لانه يطالب بأرض اشتراها بعرقه ودمه وبقوت أولاده وبناته !

قالت الفتاة : ان هذا أمر خطير يجب ان يتولاه محام كبير !

قلت لها : أفضل محاميا شابا ، ليعطى هذه القضية وقتا كافيا ، وليكبر معها ، وقد تستغرق مثل هذه القضية سنوات : فالعدل فى بلادنا لا يزال بطيئا للاسف الشديد ولكن اذا صبرتم وتمسكتم بحقكم ودافعتم عنه ، فسوف تحصلون على هذا الحق مهما يطل الزمن !

المهم ألا تيأسوا ! ان تؤمنوا بان الحق لابد ان ينتصر . . واذا كان الحق معكم فسيكون النصر لكم !

سألتنى الفتاة : ولن يرفتوا أبى !

قلت : لن يرفتوا اباك . . وانما الذى سيرفت هو الذى هدم بيتكم !

مع ٢٠٠ طالبة

أمضيت ساعة جميلة مع ٢٠٠ طالبة من طالبات كلية السلام . . اسئلتهن كانت أشبه بطلقات مدفع رشاش . ولكن الطلقات كان فيها دقة ورقة وذكاء . أعجبت بقوة شخصية المرأة المصرية الجديدة ، بايمانها بالدور الهائل الذى ينتظرها فى بناء مستقبل هذا البلد . بشعورها بمسئوليتها الضخمة فى هذا العمل الكبير العظيم .

لاحظت ان الفتاة المصرية الجديدة لا تجلس فى برج عاجى ، بل هى تعيش مع الأحداث ، تتابعها ، وتهتم بها . وتعرف ان كل ما يجرى فى هذا البلد يؤثر فى حياتها وفى مستقبلها . انتهى العصر الذى كانت فيه بعض النساء المصريات تتصور ان مصر هى حدود بيتها ، وان الشعب المصرى هو افراد اسرتها ، وانها مادامت هى بخير فكل شيء فى الدنيا بخير .

نحن امام جيل جديد يقرأ ويتابع . لا يكتفى بسماع الاغانى فى الاذاعة وانما يتابع الاخبار ، لا يقتصر اهتمامه على مشاهدة المسلسلات فى التليفزيون بل يحاول ان يعرف كل ما يجرى فى العالم من أحداث جسام !

لم تسألنى الفتاة المصرية الحديثة عن رأيى فى المطربين والمطربات ، بل سألتنى عن رأيى فى الخمينى والشاه . لم تسألنى عن آخر نكتة سمعتها وانما سألتنى عن توقع قيام حرب عالمية ثالثة . . لم تسألنى عن طلاق ممثل مشهور من ممثلة مشهورة ، وانما سألتنى عن رأيى فى اتفاقية السلام وفى علاقة مصر بالدول العربية . لم تسألنى عن « المطب » الذى وقعت فيه وانما سألتنى عن الاعتداء على الحرم الشريف !

شيء مفرح حقيقة ان أجد ارتفاعا فى مستوى اسئلة البنات الصغيرات ، وشعورا بالانتماء الى هذا الوطن ، واهتماما بكل ما يجرى فيه ، وايمانا بان البيوت السعيدة لا تكون الا فى مجتمع حر ، لا ارهاب فيه ، ولا ظلم ، ولا طغيان ولا استبداد .

شيء آخر اعجبنى فى هؤلاء النساء الصغيرات هو اننى أحسست بارتباط كل واحدة منهن باسرتها . وهذه العودة الى تقديس الاسرة هى اشارة مطمئنة الى اننا نعود الى احلى فضائلنا وأصولنا . ولقد كان من رأيى دائما ان اجمل صفات الشعب المصرى هربت من الارهاب ، كما نهرب من العواصف والاعاصير ونقفل على انفسنا النوافذ والابواب ونلتزم بيوتنا ، حتى اذا اشرقت الشمس عدنا نفتح النوافذ والابواب ونخرج من مخابئنا . واحلاه ان هذه الفضائل التى امتاز بها الشعب ستخرج من مخابئها ، وان الحب والمروءة والشهامة والاخوة والصداقة ستملأ دنيانا ، بعد ان مكثت سنوات الارهاب خائفة واجفة تخشى الخروج فيقبض عليها وتزج فى السجن الحربى !

واعجبت بنظافة الكلية ! وقلت للبنات اننى تصورت انهن أمضين اسبوعا يمسحن البلاط ! وتمنيت ان تتولى هذه الطالبات الصغيرات ادارة المؤسسات والمصانع والمصالح التى تشكو من قلة النظافة فيها . اننى اؤمن ان العقل النظيف لا يمكن ان يعيش الا فى غرفة نظيفة !

لن تتوقف الحضارة أبداً !

عقارب الساعة لا يمكن ان تعود الى الوراء . والذين يحاولون ان يوقفوا تقدم الزمن شأنهم شأن الذين يريدون ان يستمر الليل فيمدوا اكفهم ليمنعوا الشمس من الشروق !

الدنيا سوف تتقدم الى الامام شئنا أو لم نشأ . وقطار الحضارة ينطلق ، ومن حق الذى يؤمن بان فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة ان يمشى على قدميه محتقرا القطار . وسوف يستمر انطلاق الصواريخ وتحليق الطائرات وركوب السيارات مهما تحدثنا عن مزايا ركوب الجمال والحمير وفوائد ركوب البسكليتات لمرضى الروماتيزم !

ومن حق اى واحد منا ان يتوهم ان الماضى السحيق اكثر جمالا من الحاضر واكثر سحرا من المستقبل . . ولكن ليس من حق احد ان يفرض عليك ان تمشى حافيا لان صناعة الأحذية تدهورت ، أو ان يرغمك على ان تطرب للتواشيح القديمة لان الموسيقى الحديثة لا تعجبه . أن يطالب بالغاء العمارات لان المصاعد تتوقف ، أو لانه يؤمن بان منظر البيت من طابق واحد اجمل الف مرة من ناطحات السحاب !

والذين يأملون ان يعيدوا جميع النساء الى الحريم كالذين يريدون اعادة المارد الى القمقم . لن يستطيع احد ان يحكم على المرأة بان تمتنع عن العمل ، فالمؤكد انه اصبح من حق كل امرأة ان تعمل . . وبعد سنوات قليلة سوف يعجز اى شاب ان يفتح وحده بيتا . . لابد من زوجة تعمل لاقامة البيت السعيد . . واذا

كانت اليد الواحدة لا تصفق ، فنصف الاسرة لن يستطيع فى الاعوام المقبلة ان يعول كل الاسرة . وفى سنة ٢٠٠٠ لن تجد فتاة واحدة تقنع (بالقلة) بدلا من الفريجيدير ، وبطشت الغسيل بدلا من الغسالة الكهربائية ، وبوابور الغاز بدلا من البوتاجاز . لن تصبح كل هذه الاشياء رفاهية ، بل ستصبح ضرورية . فاذا شاء العريس المقبل ان لا تعمل زوجته فعليه ان ينتظر حتى يبلغ سن الستين ليكون قد جمع مبلغا يكفيه لاقامة البيت السعيد !

وهناك من يطالب بالغاء التليفزيون لانه مفسد للاخلاق ! وقد كانت الاخلاق فاسدة بنفس النسبة قبل اختراع التليفزيون ، كما يقولون ان مسلسلات التليفزيون تشجع على العنف والجريمة . . ومعلوماتى ان قابيل قتل هابيل قبل ان يتفرج على مسلسلات تليفزيون القاهرة !

ويجب ان لا نجزع عندما نسمع افكار الذين يحاولون ان يعيدوا الدنيا القهقرى الف سنة الى الوراء ، فبعض الناس يفضلون ضوء الشموع على ضوء الكهرباء ، ويفضلون مروحة اليد على تكييف الهواء ، ويفضلون خيال الظل على اعظم افلام السينما . . فالمسألة كما ترى مسألة مزاج !

ولكن الدنيا لن تتوقف لهؤلاء ، فسوف تستمر فى انطلاقها . . فالحضارة هى التقدم ولن تتوقف الحضارة ابدا !

هــل مات الحب

هل مات الحب ؟

لقد راقبت بعض شباب الجيل الجديد يشهد فيلم غادة الكاميليا فى التليفزيون . هذا الفيلم كان يبكينا فى شبابنا . كنا نخرج من مسرح رمسيس وقد تورمت أنوفنا واحمرت عيوننا . كان بعض المتفرجين يغمى عليهم ، وهم يرون روزاليوسف ممثلة دور مرجريت جويته تموت وهى تضحى من اجل حبيبها يوسف وهبى الذى كان يمثل دور إرمان دوفال !

الشبان والشابات الذين كانوا يتابعون الفيلم كانوا يضحكون ويسخرون وينكتون كأنهم يشهدون فيلما هزليا لشارلى شابلن !

الحب القوى العنيف لم يهزهم . التضحية العظيمة لم تؤثر فيهم . الفاجعة الدامية قابلوها بالهزء والاستخفاف !

وقبل ذلك اعطيت مسرحية روميو وجولييت التى الفها شكسبير لشاب فى العشرين من عمره ، واعادها الى وهو يقول انها سخيفة !

هل السبب فى هذا ان الحب الآن اصبح سهلا ، وفى أيامنا كان الحب صعبا . كان الوصول الى المحبة كالوصول الى القمر . . وعندما وصل الانسان الى القمر فعلاً اصبح يرى ان الحب كتدخين السيجارة وركوب الاوتوبيس لا يحتاج الى مشقة او تعب او عناء !

انني اجلس مع بعض الفتيات خريجات الجامعات واسمعهن يتحدثن عن الحب على انه شقة وسيارة وتليفزيون وبوتاجاز ورحلة الى اوربا ! بعض الفتيات يفضلن شابا يملك شقة على شاب له مستقبل . تختار ماركة السيارة باهتمام اكثر من اهتمامها باختيار صفات الرجل الذى تحبه .

الحب فى نظر بعض فتيات الجيل الحديث هو « نزهة » ! هو دعوة للعشاء ، او دعوة للرقص ، او رحلة فى السيارة ، او البحث عن شقة خالية ودفع خلو رجل مناسب ، او هدية فى عيد الميلاد !

هذا ليس هو الحب . الحب هو اجمل ما فى الحياة . هو انسجام روحين واندماج قلبين . هو ان يحس كل واحد بالآخر حتى وان بعدت بهما المسافات . هو ان يفهم كل واحد منهما ما يريد ان يقوله الآخر قبل ان ينطق به . هو عيون تتكلم بلا صوت . هو قلوب تخفق بصوت كالرعد . هو احلام مشتركة لا تقبل القسمة الا على اثنين . . هو عذاب ممتع . وهو دموع تسكر أكثر مما تسكر الخمور . هو جنة على الأرض ، اذا خرجت منها أحسست بالجحيم !

الحب ليس شقة ولا تليفزيون ولا سيارة ولا دعوة للعشاء !

عيد الحب يوم الاحد ٤ نوفمبر

ستنتهى موجة الانحلال

يمر العالم بعصور من الشك وعصور من اليقين . أيام تدوى فيها اصوات المؤذنين واجراس الكنائس ، وايام اخرى تنطلق فيها اغانى الجنس الخليعة من أندية الليل والكباريهات . ايام يشتد فيها الاقبال على الكتب الدينية والقصص الروحية ، وأيام تنتشر فيها الصور الفاضحة وافلام الجنس كالوباء !

وفى الستينات انطلقت موجة الانحلال فى العالم ، وانتشرت جماعات الهيبز ، وتحولت اقسام الداخلية فى بعض الكليات فى اوربا وامريكا الى مواخير . وأصبحنا نرى فى الشارع ما كنا نخجل ان نراه فى غرف النوم . وسمعناهم يدعون الى حرية جديدة هى حرية الجنس ، ومن مقتضاها ان تكون العلاقة بين الناس كالعلاقة بين الكلاب !

وانتشرت المخدرات والماراجوانا والحشيش بين الشباب وامتدت الى الاولاد . وأصبحنا نشهد فى بعض مدارس البنات فى الخارج تلميذات يدخن الحشيش !

وبعد ان كان مايوه المرأة الذى يتكون من قطعتين يقتضى استدعاء بوليس الآداب ، فوجىء العالم بظهور شواطىء كل من فيها عراة حتى الجرسونات الذين يقدمون الويسكى والمشروبات الغازية على البلاج !

وضاعت اصوات المصلحين فى صرخات موسيقى الجاز المجنونة ، وفى نتشار الرقصات الهستيرية التى انتشرت فى تلك الايام .

ثم بدأت تنحسر الموجة قليلا قليلا ، واخذ رجال التربية يبحثون عن سر انطلاق تيار الانحلال ، فوجدوا ان السبب الاول هو انعدام التربية المنزلية . لم يعد لدى الاب والام وقت لتربية اولادهما وبناتهما يمضيان طوال اليوم فى عملهما ، ثم يعودان الى البيت متعبين مرهقين .

ويجلس الآباء والابناء امام التليفزيون ولا يتبادلون كلمة !

ويمضى الجميع الوقت فى متابعة الافلام والمسرحيات والالغاز حتى تنتهى البرامج فيذهبوا الى فراشهم ليناموا .

تفتتت العلاقة الاسرية .. لم يعد لدى الاب وقت ليسمع مشاكل كل اولاده . ولم يعد لدى الام وقت لتسمع متاعب بناتها . اصبح الكل نمرا فى بيوتهم . هذه الغربة داخل البيوت هى التى ادت الى الانحلال ، الى ضياع القيم التى يلتقطها الاولاد من ابائهم .

لم تعد الام هى المعبودة التى تريد ان تقلدها البنت الامريكية ، وتريد ان تكبر على مثالها . ولهذا اصبحت البنت تبحث عن « مثل اعلى » خارج البيت . وكثيرا ما تجد هذا المثل فى بنت مثلها منغمسة فى المخدرات والجنس والفضائح !

وفقد الآباء احترامهم . اصبح الاولاد يهزأون بآرائهم الرجعية وافكارهم المتحجرة .

رفض الابناء ان يذهبوا الى الكنائس . اضطرت بعض الكنائس ان تقيم حفلات راقصة ليقبل عليها الشباب ! .. وفى هذا الجو انتشرت الاباحية وساد الشك والالحاد !

وبدا المجتمع الاوربى والامريكى يعيد الاحترام للآباء والامهات ، وبدا الدين والفضيلة والقدوة الصالحة تزور البيوت المهجورة من جديد !

عندما يفقد الاب والام احترامهما فى البيت تنهار جدران البيت وسقفه ويتحول الى خرابة !

دقى يا مزيكة !

كانت الشهادة الابتدائية شهادة محترمة جدا فى مصر منذ حوالى السبعين عاما ! وكان يقام سرادق ضخم فيه فرقة للموسيقى ، ويقف الاستاذ الممتحن فوق منبر عال وامامه التلميذ ويسأله المدرس ٦ × ٦ بكام فيجيب التلميذ ٢٠ فيقول المدرس : فوق شوية ! فيقول التلميذ ٤٠ فيقول المدرس انزل شوية ! فيقول التلميذ : ٣٥ فيقول المدرس اطلع شوية لفوق فيقول التلميذ : ٣٦

ويصيح المدرس : دقى يا مزيكة ! وتعزف الموسيقى سلام الخديوى ! ويبدأ امتحان الجغرافية ويسأل المدرس التلميذ : ما هى عاصمة انجلترا ؟ فيجيب التلميذ فيينا ! ويقول المدرس : على شمالك شوية ! فيجيب التلميذ : باريس ! فيعود المدرس ويقول شمالك كمان ! فيقول التلميذ : لندن .

ويصيح المدرس : دقى يا مزيكة وتعزف الموسيقى سلام الخديوى ! وبعد ذلك اصبحت شهادة الكفاءة وهى تشبه شهادة الاعدادية الآن ، ويحصل عليها التلميذ بعد عامين من اتمام الشهادة الابتدائية ـ اصبحت شهادة الكفاءة هى شهادة محترمة حتى ان بعض الوزراء كانوا لا يحملون. الا شهادة الكفاءة !

وكان كثيرون يكتبون على بطاقات الزيارة اسمهم وتحتها « حامل شهادة الكفاءة » وتطور الأمر واصبح الراسبون يكتبون على البطاقة « ساقط كفاءة »!

ثم جاءت البكالوريا واصبحت الشهادة المحترمة التى يحنى لها الجميع الجباه ، الى ان غيروا اسمها واطلقوا عليها اسم « الثانوية العامة » لتتحول البيوت فى مصر الى فروع لمستشفى الأمراض العقلية !

ويظهر ان العالم بدأ يتجه الى تجاهل الشهادات العلمية بعد ان كانت لها قداسة خاصة طوال الاجيال الماضية . ان كثيرا من الشركات الأجنبية لا تسأل طالب الوظيفة عن الشهادة التى يحملها . بل تسأله عن عدد سنوات الخبرة وتسأله عن عدد المرات التى تزوج فيها ؟ وتسأله عن عدد المرات التى انتقل فيها من مسكنه خلال العامين الماضيين . وتسأله عن الكتب التى يقرؤها وعن الصحف والمجلات التى يطلع عليها واللغات التى يعرفها وعن علاقته بأمه وأبيه وعن عدد أصدقائه !

إنها فى رأى بعض الخبراء اسئلة أهم من أكبر الدرجات العلمية ! لماذا ؟

لأن الكمبيوتر الآن اصبح يحل محل مائة من حملة الدكتوراه وخمسمائة من حملة الماجستير !

ولهذا أنوى أن أمزق شهادة الماجستير !

أهلا بالحب فى عيد الحب

اليوم عيد الحب . .

أتمنى فى عيد الحب ان أصلح بين زوجين متغاضبين . ان أوفق بين أم وأولادها . ان أحل مشكلة عروس لا تملك ثمن حجرة نوم . ان أسدد مصاريف سفر عامل فى الاسكندرية لم ير اسرته المقيمة فى اسوان منذ سنوات طويلة .

أتمنى ان أسدد ديون أب مكث سنوات يسدد بانتظام اقساط جهاز بناته لعدة سنوات ، ثم عجز عن الدفع فى هذا العام . أتمنى ان أدفع خلو رجل لشاب خريج جامعة وعروسة ليجدا غرفة فوق السطوح !

كل هذه أمان متواضعة جدا ، ولكنها ترسم الابتسامة على شفاه لم تعرف طعم الابتسام من زمن طويل . ماذا ستكلف كل هذه الاحلام الصغيرة ؟ انها لن تكلف أكثر من ثلاثة أو أربعة الاف من الجنيهات . ممكن ان تدفعها ليلة القدر فى عيد الحب . وممكن ان تدفع اضعافها .

وكل هذا لا يكفى ، اذا لم تشارك الأمة كلها فى عيد الحب . اذا لم يحاول كل واحد منا ان يسعد انسانا يعرفه أو لا يعرفه فى هذا اليوم الجميل . أنت لا تعرف جيرانك ! النبى وصى على سابع جار ، وأنت تجهل اسم أول جار . ماذا تخسر لو أنك فى هذا اليوم مررت على سبعة من الجيران وتركت لهم بطاقتك ، وتمنيت لهم فيها عيدا سعيدا . سوف يشعر جارك بهناء لأنك بادرته بالتهنئة . سوف يشعر بالامان لأن جاره يهتم به . . اننا بهذه اللفتة البسيطة ندخل الحب الى

قلوب محرومة ، وندخل الامان الى نفوس قلقة . انك لم تفكر طوال هذه السنوات الماضية فى جيرانك السبعة . ربما أنت تجهل اغلب اسمائهم . قد تمر بهم فلا تقرئهم السلام . قد يموت لهم عزيز فلا تعزيهم ويفرح لهم قريب فلا تهنئهم . هذه فرصة لأن يشعر جيران الشارع الواحد برابطة . أنت تحتاج الى جرس من جيرانك : يحرسون بيتك اذا غبت ، ويحمونك اذا حاول أحد ان يعتدى عليك . كان الجيران فى الماضى عزوة كل بيت وحماة كل حارة واصدقاء كل محنة . . حاول ان تجدد صداقتك يوم عيد الحب بالاصدقاء الذين نسوك أو نسيتهم . لا تحاكمهم على غيابهم ، ولا تعاقبهم عن نسيانهم . بل افتح قلبك لهم ليفتحوا لك قلوبهم . عمر الانسان أقصر كثيرا من ان يضيعه فى العتاب واللوم والمحاكمة والعقاب . . إجعل يوم عيد الحب استعادة حلوة للذكريات الحلوة مع الذين احبوك واحببتهم وجاءت الأيام وفرقت بينهم . تليفون منك لصاحب قديم قد يسعده فى وحدته ، قد يخفف عنه بعض آلام مرضه . قد يحمله من جديد الى شبابه !

لا تستهن فى يوم عيد الحب بالمجاملات الصغيرة . اننا نفقد أعز اصدقائنا واحبابنا لاسباب صغيرة ، فلنجعل هذا اليوم الجميل بداية لايام جديدة جميلة ، فالدنيا جميلة وكل من حولنا يحبنا ويهتم بنا . . والدنيا بشعة اذا وقفنا وحدنا وكل من حولنا يخاصمنا أو يبتعد عنا !

أهلا بالحب فى عيد الحب .

ابتسم فى بيتك يطل عمرك

كان يقول انه يضع أحزانه فى دولاب فى بيته ، ويغلق الدولاب ، ويخرج وهو لا يحمل أحزانا ولا هموما ولا مشاكل ! ثم يعود إلى بيته فى المساء ليفرغ أحزانه فى الدولاب ويغلقه من جديد .

وكنا نراه خارج بيته يبتسم ويضحك ويمرح . لا يحمل هما ولا غما ، وكنا نغبطه على هذه السعادة ، ونتمنى أن نستطيع أن نقلده فى أسلوب حياته ، فنجد دولابا نودع فيه أحزاننا ونغلقه بالضبة والمفتاح !

إلى أن التقيت بزوجته وإذا بها تقول لى انها هى الدولاب الذى يضع فيه زوجها كل ما لديه من أحزان وهموم ومشاكل .

يدخل البيت وعلى وجهه غضب الله . يسب ويشتم ويلعن . لا تسأله كيف حالك حتى يقول لها زفت كل شىء زفت . صحته زفت وعمله زفت والناس زفت فى زفت !

لم يحدث مرة أن جاءها بنبأ سار أو خبر مفرح . كأنه يمشى فى جنازة لا تتوقف أو يحضر مأتما لا ينتهى . إذا قال « الحمد لله » مرة أضاف « الذى لا يحمد على مكروه سواه » . وإذا قالت له فى العيد « كل سنة وانت طيب » قطب عينيه وقال : اننى أشعر أن هذا آخر عيد احتفل به وستحتفلين بالعيد القادم فى قرافة الأمام ؟ وإذا فرحت لان ابنها نال الثانوية العامة ذكرها زوجها ان ابنها سيموت من الجوع عندما يتخرج فى الجامعة ! انه يحفظ صفحة الوفيات عن ظهر قلب ، لا يكاد يجلس معها فى الصباح حتى يعدد لها الذين ماتوا ، والذين

يحتفلون بالاربعين ، والذين يحتفلون بمرور سنة . ثم الحوادث . فيذكر حوادث القتل والذبح بتفصيل تقشعر له الأبدان ! ولم يحدث مرة أن أخبرها بخبر خطبة أو نبأ زفاف . .

وهو إذا عاد من عمله ذكر لها أسماء الذين رفتوا ، والذين خصمت لهم أيام من مرتباتهم ، والذين أوقفوا عن العمل . . ما من مرة حمل لها نبأ ترقية ! حتى انه عندما رقى إلى درجة مدير عام لم تسمع بالنبأ إلا من شقيقه الذى جاء لتهنئته ! وعندما عاتبته لأنه لم يخبرها قال لها لم أرد أن أضايقك ! ان هذا يقتضى أن تعزينى لا أن تهنئينى . ان معنى ترقيتى لمدير عام مضاعفة عملى وزيادة مسئولياتى . وهم أرادوا أن يقتلونى بهذه الترقية !

غريب أن يكون انسان واحد هو نكد أفندى فى بيته وفرح أفندى خارج بيته . فى البيت الدموع ، وفى الشارع الزغاريد . مع أهله المآتم ومع الأغراب الليالى الملاح !

ان المثل الذى يقول ان ما يحتاجه البيت محرم على الجامع ، يجب أن ينطبق على كل الذين يحرمون بيوتهم من ابتسامتهم ، ويخصونها بأحزانهم وأوجاعهم وآلامهم ومصائبهم !

ابتسم فى بيتك يطل عمرك !

حفـرة فى الشـارع

يجب أن نهتم بالمسائل الصغيرة لان إهمال المسائل الصغيرة قد يؤدى إلى مصائب كبيرة !

لا يكفى أن نهتم بالمدينة ، ولكن يجب أن نهتم بكل شارع فيها وكل حارة فيها ! لا يكفى أن نهتم بكارثة أصيب فيها مائة رجل ، بل يجب كذلك أن نهتم بكارثة أصيب فيها رجل واحد ! فالسكوت على الغلطة الصغيرة يؤدى دائما إلى الوقوع فى الكارثة الكبيرة !

مثلا فى القاهرة شارع اسمه شارع الظاهر .

فى ٢٤ سبتمبر الماضى أى منذ حوالى شهرين جاءت سيارة بترول وركنت فى الشارع ، ووقف عجل السيارة على غطاء حجرة تفتيش تليفونات فيها خطوط تليفونات الحى . وانكسر الغطاء وأصبحت حجرة التفتيش مكشوفة . . وجاء أولاد الحلال وألقوا فيها كالعادة القمامة والفضلات . ولم يهتم احد باصلاح الغطاء ، وفجأة شبت النار . وجاءت سيارتان من المطافىء لاخماد النار ! وتصور سكان الحى ان المسئولين عرفوا من البركان المشتعل أن غرفة التفتيش مكشوفة فتسرع هيئة التليفونات بوضع غطاء جديد !

ويبدو أن المطافىء اعتبر الأمر سرا حربيا لا يجوز أن تعرفه التليفونات !

وجاءت ثلاث سيارات متتابعة وسقطت فى الحجرة المكشوفة ، وانقذ ركابها باعجوبة . . وكان المفروض أن تعلم التليفونات بهذا الحادث ، ولكن المسئولين لم يثقوا بالتليفونات أو أن التليفونات الموصلة للتليفونات كانت عاطلة ولهذا لم

تسمع التليفونات صراخ الذين وقعوا فى الحفرة !

وجاء عامل عجوز فوق دراجة ولم ير فى الظلام حجرة التفتيش المكشوفة ، فسقط فيها ، وكسرت ساقه ، وجلس إلى جوار الرصيف يبكى ، ويظهر أن صراخه كان مؤدبا ، فلم يصل إلى أسماع المسئولين فى هيئة التليفونات ، أو أن صراخه كان بالليل وكان موظفو التليفونات المسئولون عن شراء غطاء للغرفة بالعملة الصعبة مشغولين فى تأليف وفد يسافر إلى الولايات المتحدة فى طيارة خاصة لشراء غطاء للغرفة المكشوفة .

ويظهر ان سكان شارع الظاهر قوم متشائمون ، فلم يشاءوا أن يصبروا ، فجاء أحدهم « بقفصين فراخ » وغطى بهما غرفة تفتيش التليفونات !

ولاشك أنه سوء تقدير من سكان شارع الظاهر ، لانهم وضعوا قفصى الفراخ خاليين من الفراخ ! ولهذا لم يهتم أحد بهذا الموضوع البسيط !

الطفــل الخاص

كان طفلا جميلا ، ولد متخلفا . وكبر جسمه ولم يكبر فكره . لايستطيع ان يركز فى موضوع واحد . كثير التنقل . حركته مستمرة . يطلب من والديه أشياء مستحيلة فاذا لم تجب طلباته عض اصابعه ، وارتمى على الأرض ، يبكى من أبسط الأمور . إذا أراد أن يعانق طفلا حاول أن يخنقه ولم يتصور إنه يقتله ، لاينام فى الليل جعل حياة اهله عذابا مستمرا . صامتا لايتكلم .

وقيل للأم إن العلاج ان تغلق عليه باب غرفته ، فلا يراه الناس ، ولايرى الناس . الاطباء قالوا انه لاامل فى علاجه . بعض الناس يعتبرون وجود مثل هذا الطفل مصيبة يجب إخفاؤها عن أقرب الناس !

ولكن الأم والأب رفضا ان يستسلما . علما ان فى انجلترا مراكز لتدريب الطفل الخاص وقد اطلقوا عليه اسم « الخاص » لان المطلوب هو حب ورعاية وعناية اكثر من اى طفل عادى ، وحتى لايشعر الطفل بالاهانة اذا سمع انه موضوع فى معهد المتخلفين ، فهى كلمة تجرح الاهل ، ومهمة المجتمع ان يحافظ على احساس هؤلاء الاهل بعد ١٣ سنة اصبح الطفل فى الثامنة عشرة من عمره ، اصبح مرحا ، لايعتدى على احد ، معتزا بكرامته تعلم بعض الصناعات اليدوية ، كان عصا سحرية حولته الى انسان جديد . يلبس ملابسه بغير مساعدة ، يأكل بالشوكة والسكين ، هادىء .

الشرط الأول فى معاملة هؤلاء الاطفال الا تغمرهم بالشفقة بل تعاملهم كاطفال عاديين . ان يمنحهم الحب والتفهم والمساعدة دون ان نشعرهم انهم مرضى وانهم مختلفون عن غيرهم من الاطفال والاولاد . واصبح الولد الصغير

لطيف المعشر ، يساعد فى اعمال البيت ، وقد عوده المركز ان يعتمد على نفسه فى كل شىء .

لماذا لايكون فى بلادنا مثل هذا المركز للطفل الخاص . لايريد ابنية شاهقة ! ولانريد آلات تتكلف الملايين . ولانريد موظفين كبارا ينتقلون بسيارات فخمة ضخمة كل مانريده ان نبدأ بغرفة صغيرة ، ثم تكبر الغرفة . لانريد ان نحتكر جمعية واحدة هذا لعمل العظيم .

نريد ان يفكر كل حى فى ان يخصص غرفة واحدة لهؤلاء الاطفال كل المطلوب هو معلم او معلمة . يدربهم على هذا العمل . ممكن ان نستعين بمتطوعات . بأمهات ليس لديهن اعمال تشغلهن .

نريد الا نتأفف من منظر الطفل الخاص . انهم فى انجلترا يفتحون له كل الابواب . يأخذونه الى الأوبرا والمسارح والحفلات التى تحضرها الملكة ! وقد سمعت ان سيدة اخذت بعض هؤلاء الاطفال الى كازينو فى القاهرة فاعترض مدير الكازينو لان الزبائن جاءوا للبهجة والاستمتاع لا لرؤية هؤلاء المساكين . هذا الشعور الحيوانى يجب ان ينتهى ، ويجب ان نفتح قلوبنا لكل طفل خاص ممكن ان يكون هذا الطفل ابنى او ابنك فلا تخجل منه . بل عليك ان تقف بجانبه وتعرف انك قادر على ان تعيد الابتسامة الى شفتيه .

هذه المراكز فى انجلترا وامريكا واوربا عموما ليست تابعة للحكومة بل هى بالمجهود الذاتى للاهالى . ولقد سمعت ان بعض السيدات المصريات والاطباء واهل الخير قرروا انشاء مراكز للطفل الخاص فى مصر .. فأهلا وسهلا !

في يدك كل هــذا !

اعرف عناءك . احس بمتاعبك اشعر بهمومك . اتصورك وانت جالس تجمع وتطرح كل يوم وكل ساعة . وكل صباح ومساء . كيف توازن بين مصروف يتزايد وبين ايراد ثابت .

هذا سؤال لايستطيع ان يجيب عنه اعظم وزراء مالية العالم واكبر خبراء البنك الدولي .

ولكنني مؤمن بأن الشمس ستشرق . والف حكومة لاتستطيع ان تصدر قرارا بشروق الشمس . وانما انت قادر ان تصدر هذا القرار . فى يدك ان تشرق الشمس وينتهى العناء وتخف المتاعب وتتضاءل الهموم !

اذا اردت ان تأكل ارخص مما تأكل فعليك ان تزرع اكثر مما تزرع .

واذا تمنيت ان تلبس ارخص مما تلبس فعليك ان تنسج غدا اكثر مما تنسج اليوم ! فى يدك الشمس التى تشرق اذا تحركت هذه اليد ، وانتجت اضعاف ماتنتج ، وفى يدك الشمس التى تغيب اذا تراخت هذه اليد وتكاسلت وتباطأت ان مهمتنا اليوم ان نبحث سبب غلاء النسيج المصرى . كيف يحدث ان تجىء لنا ملابس جاهزة بارخص مما تصنع فى بلادنا ؟

السبب ان مصانع النسيج عندنا اصبحت بالية . اشترينا مصانع نصف عمر ، واشترينا مصانع قديمة عليها طلاء لامع ، واشترينا مصانع مضى زمنها . . وكانت النتيجة اننا نحاول ان نسابق بعربة كارو طائرة كونكورد !

فى مصانع القطاع العام مهندسون اكفاء يعرض عليهم اضعاف مرتباتهم فى القطاع الخاص.. ولدينا عمال مصريون شهد بكفاءتهم اعظم خبراء العالم. ولكن انظمتنا التى وضعناها فى الستينات ونحن نؤمم المصانع، كانت اشبه بقبور ندفن فيها هذه المصانع. قيدنا انطلاقها.. كبلنا ايدى مديريها. حتمنا عليهم ان يركبوا السلحفاة باعتبارها أسرع طرق المواصلات فى تلك الايام. بعد الحاح طويل سمحنا بمكافأة المجدين، ولكننا لم نسمح بمعاقبة المهملين، ولا الكسالى، ولا الذين يتعمدون تخريب الانتاج باضعاف مستواه!

ان كثيرا من مصانع القطاع العام بدأت تفكر فى تجديد آلاتها، وتتعاقد على آلات حديثة تتفق مع عصر السرعة الهائلة الذى نعيش فيه. ولكننا مانزال نبت فى كل عملية بعقلية السلحفاة، متوهمين ان الارنب لن يسبقنا، مطالبين بمنع دخول الارانب الى حلقة السباق!

قبل تجديد الآلات يجب تجديد اللوائح والقوانين!

لو ان كل واحد منا زاد كمية عمله فانه قادر ان يجعل الخضراوات ارخص مما هى، والاطعمة ارخص مما هى.. بل البيوت ارخص مما هى الآن!

هيا! مد يدك لتجعل الشمس تشرق فى كل مكان!

دولة الأندلس رقم ٢

ليست بطولة أن اقتل ٢٠٠ من النساء والأطفال والمدنيين العزل من السلاح . وإنما البطولة أن أحارب فى ميدان القتال عددا مسلحا مثلى ! أحاربه وجها لوجه ولا أغمد خنجرا فى ظهره ! .. أحاربه فى النهار ، لا أغدر به فى الظلام !

ليست شجاعة أن انسف عمارة سكنية فى غرب بيروت ، وإنما الشجاعة أن أنسف حصنا إسرائيليا داخل إسرائيل !

ليست فروسية أن أحول الأطفال الأبرياء إلى أشلاء تتطاير فى الفضاء ، إنما الفروسية أن أفعل ما كان يفعله الفدائيون فى انحاء الدنيا إذا أرادوا أن ينسفوا فندقا من فنادق الأعداء أن ينذروه قبل الانفجار بنصف ساعة ليخليه جميع المدنيين !

اين كانت كل هذه القنابل فى حرب أكتوبر .. لماذا لم تنفجر منها قنبلة واحدة ؟!

هل هى لعنة أصابت العرب على يد بعض أبناء العرب . هالهم ان تتألق سمعة العرب فى العالم فجاءوا يهيلون عليها التراب ويدوسونها بالاقدام ؟ هل المقصود من هذه الجرائم الوحشية أن تشوه صورة العرب أمام الدنيا كلها ، فيظهروا فى صورة الوحوش التى لا تعرف رحمة ولا إنسانية ، ولا طفولة بريئة ؟ . هل المقصود بهذه الأعمال الجنونية تشجيع الدول الكبيرة على الاستيلاء على البترول العربى لأننا شعوب متخلفة ، لا أمن فيها ولا أمان ، ولا

مستقبل لها ولا أمل .. ولا اطمئنان لها أو ثقة فيها ؟

هل الذين يرتكبون هذه الحوادث هم من أبناء العرب ، أو من أعداء العرب ؟ .. هل يريدون أن يبعثوا فلسطين أم يريدون أن يدفنوا فلسطين تحت هذه الخرائب والانقاض ؟!

عندما كنا نقرأ نهاية دولة الاندلس العظيمة فى إسبانيا ، وكيف أصيب ملوك الطوائف بالجنون وراحوا يقتلون بعضا ويحاربون بعضا ويتآمرون على بعض ، كنا نتساءل : ألم يوجد عاقل واحد بين هؤلاء المجانين ينبههم إلى ما يفعلون ، وينذرهم بأنهم لا يقتلون فريقا من العرب ، وإنما يقتلون العرب جميعاً ، ويرمون دولة عظيمة فى البحر لتأكلها الحيتان !

نحن نقول اليوم هذا للذين يتقاتلون فى البلاد العربية على اللحاف ! ولا يوجد لحاف ، ولا توجد وسادة . فإن إسرائيل هى النائمة فوق سرير العرب تستمتع بالوسادة وباللحاف ! ..

يا بخت إسرائيل .. عندما وجدت أعداء مثلكم !

مشكلة سيد زينهم !

نعم هناك جهد يبذل لمواجهة أزمة الاسكان ، ولكنه جهد قزم والمشكلة عملاقة ، فمن أجل أن يربح عدد من الأشخاص أموالا طائلة نتردد فى اتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة لمواجهة هذه الأزمة التى تشقى شباب هذا البلد وتتعسه وتهدده بالانحلال أو تزرع فيه روح اليأس والتمرد والحقد !

إن مهمة الحزب الجديد أن يواجه « السعار » لجمع المال . والشعب المصرى كان شعبا قنوعا ثم جاءت الديكتاتورية وحولت بعض الناس الطيبين فيه إلى ناس « مسعورين » جشعين يحاول الواحد منهم أن يكون مليونيرا بعد ٢٤ ساعة ، لا يهمه أن يصل إلى هدفه فوق جثة صديقه أو فوق أشلاء أخيه . وبعض الناس يتصور أن هذا السعار هو رد فعل لشعور الناس أن الدولة نهبتهم خلال العشرين سنة الماضية ، وضعتهم تحت الحراسة ، صادرت أموالهم ، استولت على أسهمهم فى الشركات ، وزعت ما نهبته على المحاسيب والانصار والاصهار والمريدين . وهكذا أصبح الناس على دين ملوكهم ينهبون كما نهبوا ويسرقون كما سرقوا . . ورأينا كثيرين من الناس مشغولين بخطف ما فى أيدى الآخرين . . لا أحد يريد أن يعمل ليأخذ ، بل يجد أن الأسهل أن يعمل ليخطف ، ولم يجد الناس « المثل » التى يحتذون بها فى العفة والاباء ، بل وجدوا « المثل » التى يقلدونها فى السلب والنهب . ولم يروا اللصوص يعاقبون ، بل على العكس رأوهم يكرمون ! . . ولم يروا واحدا من الذين نهبوا أموال الشعب يقدم إلى المحاكمة ، بل إننا فضلنا أن نضمد الجروح ونقضى على ما فيها من جراثيم !

ومهمة الحزب الجديد أن يعطى للناس القدوة فى الاباء والعفة والتجرد

والنزاهة والبعد عن الشبهات . فلا أحد يقبل أن يثرى سياسى على حساب السياسة ، ولا أن تكون المبادىء طريق الوصول ، ولا أن تصبح الانتهازية هى جواز المرور . . وإذا استطاع الحزب الجديد أن يجىء بأئمة يتوضأون فسوف يتوضأ خلفهم الشعب دون أن يدعوه أحد إلى الوضوء !

ومهمة الحزب الجديد أن يحمل دعوة الحرية والديموقراطية والعدالة إلى كل قرية فى الريف . . فنحن لا نريد ديموقراطية المدينة وديكتاتورية القرية ! . ونحن - مثلا - لا نفهم أن يقتل بلطجى فى أحد المدن صول شرطة بخنجر . . فتكون النتيجة أن تهاجم الشرطة كل قهوة فى الحى ، وتحطمها ، وتضرب الجالسين فى القهاوى ، وكأنها تريد تأديب الشعب كله لجريمة ارتكبها فرد واحد ! . . هذا شيء كان يفعله جيش الاحتلال الانجليزى ، عندما كنا نعتدى على جندى من جنود الاحتلال ، فيحاصرون الحى كله ويضربون كل من فيه ، ويطالبون بدفع غرامة جماعية ! . . ولكن الشرطة فى عصر الحرية ليست جيش احتلال ، إنها جزء من الشعب فى خدمة الشعب ، ولحسن الحظ أن أغلبية رجال الشرطة أصبحت تعلم ذلك ولكن أقلية منها لاتزال تضرب المواطنين فى الأقسام ، أو تتصور أن الطريقة للحصول على اعترافات اللص هى ضربة ! وهم لا يعلمون أن عصر التعذيب قد انتهى ، وأن الدستور أصبح يعتبر التعذيب جريمة لا تسقط بالتقادم ، فيمكننى أن أطالب بمحاكمة الذى عذبنى حتى لو مرت على الجريمة عشرون سنة ! ولكن للأسف لم ير هؤلاء الاقلية من رجال الشرطة عقوبات رادعة حلت بملوك التعذيب ! أصبح الكثيرون منهم أصحاب ملايين يفتحون مكاتب التصدير والاستيراد وتخاف منهم بعض المؤسسات كأنه لا يزال فى أيديهم السياط والكرابيج ! إن مهمة الحزب الجديد أن يطبق مبادىء ١٥ مايو فى كل مكان ، وأن يحمى كرامة المواطن المصرى من الاذلال ، وأن ينتقل عضو الحزب إلى أى قرية يعتدى فيها موظف كبير أو صغير على أصغر المواطنين وأفقر المواطنين !

إن الحزب الجديد يجب أن يشعر كل مواطن أنه جاء ليخدمه لا لينتزع تأييده . جاء ليحرسه لا ليصعد على كتفيه . جاء ليقويه لا ليقاسمه سلطانه .

جاء ليزيل الخرائب والانقاض بسرعة ويحملها معه ، لا ليصدر له الأوامر بأن يزيل الانقاض !

مهمة الحزب أن يبشر بأخلاق جديدة فى القطاع العام . . فلا تدخل إلى محل تجارى فتهملك البائعة ، ويحتقرك البائع ، يكنسك الساعى وهو يكنس المحل التجارى ظهرا !

مهمة الحزب أن يعيد للمصنع المصرى الاتقان المصرى القديم ، والمواظبة وحب الآلة التى يعمل عليها ، والانتماء إلى العمل الذى يقوم به .

مهمة الحزب أن ينظف الشارع المصرى ، ويعيد إليه حياءه وأدبه واحتشامه واحترامه ، وألا يخاف أن يبدى رأيه فيما يجب أن تفعله كل طائفة ، فالحزب الذى يخاف الطوائف سوف تركبه الطوائف . . وإنما نريد حزبا تشعر كل طائفة فى الأمة أنه حزبها كلها ، وأنه صديقها ومرشدها وقائدها ، وأنه لا يهتم بالهتاف وإنما يهتم بالعمل ، ولا يطمع فى أقواس نصر وإنما يطمع فى إنتاج أكبر . . ولا يريد أن يكون أكبر حزب فى مصر بل يريد أن يكون أقرب حزب إلى قلوب المصريين .

من السهل أن تدخل إلى قلب مصر ، ولكن من الصعب أن تبقى طويلا فى قلب مصر . .

يجب أن نعطى مصر كل شيء لتعطينا كل شيء !

نريد حزبا يحل مشكلة سيد زينهم !!

لأن فى مصر ملايين « سيد زينهم » !

فلسفته للمستقبل

زارتنى فتاة تحمل بكالوريوس كلية التجارة ، وتعمل موظفة فى احدى المصالح الحكومية . وتحمل فوق رأسها هموم اطعام امها الارمل وأخواتها الثلاث اللاتى يدرسن فى الجامعة . وقالت لى انها وجدت حلا عبقريا لمشكلتها المالية التى يعجز من حلها اعظم وزير اقتصاد فى العالم . وهى ان تعمل بعد انتهاء عملها الحكومى « صبى » لعامل لصق بلاط القيشانى . انها سمعت ان بعض هؤلاء العمال يربح عشرين جنيها فى اليوم الواحد ، وهى تعتقد انها قادرة ان تتعلم هذه المهنة فى ستة شهور ، وبعد ذلك تعمل لحسابها ، وتسدد ديون الاسرة وتوازن ميزانيتها وتنقلها من العدم الى الرخاء ! ووافقتها على الفكرة وتحدثت الى بعض عمال لصق الرخام الذين اعرفهم فلم يرحبوا بها ، وقالوا انها تريد ان تعمل بعد الظهر ، والعمل يبدأ من الصباح المبكر ، ثم قالوا ان هذه المهنة لا تصلح لها النساء وتحتاج الى عضلات الرجال ! وعدت الى الفتاة فقالت ان المرأة تستعد لقيادة مركبات الفضاء ، فليس كثيرا عليها ان تلصق بلاطة القيشانى فى الجدار ، واعتذرت عن عدم استطاعتها ان تنقطع فى الوقت الحاضر عن عملها الحكومى فى مدة عملها « كصبى » حتى تقف على قدميها . . ومازلت انتظر العامل الشجاع الذى سيتقدم ويأخذ بيد هذه الفتاة المكافحة !

ويجب أن نعد أنفسنا من اليوم للقاء المجتمع الجديد الذى ينتظرنا فاذا أردت أن تضمن لابنك أن يكون له بيت وسيارة فعليك أن تعده من الآن ليكون عاملا فنيا . فبعد عشرين عاما لن يستطيع ان يملك سيارة وبيتا فى مصر الا العامل الفنى المدرب !

ولقد لاحظوا فى السنوات الاخيرة ان سكان مدينة لندن ينقصون سنة بعد سنة ، وتألفت لجان تبحث سر انقراض سكان المدينة ، ثم اكتشفت ان السبب الاساسى ان العمال الفنيين المدربين اصبحوا يتركون الشقق المتواضعة فى بيوت العمال فى لندن ، ويهاجرون الى الضواحى ، ويشترون بيوتا فيها ، لها حدائق ، وفى كل صباح يركبون سياراتهم ويذهبون الى العاصمة البريطانية ! اما الموظفون الغلابة فهم وحدهم الذين يحشرون انفسهم فى الشقق الضيقة فى لندن ويستعملون المترو والاوتوبيس ! وهذه الظاهرة تجد لها مثيلا فى أغلب عواصم العالم ، فهناك مجاعة لا تنتهى للكهربائى والنجار والحداد وعامل البناء والميكانيكى وعامل الالكترون . ومن النادر ان تجد واحدا من هؤلاء الآن لا يملك سيارة أو بيتا فى أوربا وامريكا ، ومن النادر كذلك ان تجد واحدا من هؤلاء عاطلا عن العمل . وسوف تتطور نظرة المجتمع الى العامل فى بلادنا ، وقد لا يمر وقت طويل عندما تعرف بسهولة الفرق بين الشقة التى يقيم فيها عامل فنى مدرب وموظف محترم فى الحكومة سوف تجد فى شقة العامل جهاز تكييف هواء وفريجيدير وغسالة كهربائية . وستجد فى شقة الموظف الكبير مروحة يد . . وقلة . . وطشت غسيل !

فلنستعد من اليوم للمستقبل !

فلنتعود على عصر الحرية

الذين عاشوا سنوات الصمت يتوهمون الهمس رعدا ! والذين ولدوا فى عصور الظلام يعميهم ضوء شمعة . والذين تعودوا على رؤية الناس منحنين وراكعين وساجدين أمام الأقوياء يتصورون أن أى رأس مرفوعة انما هى خارجة على النظام . وعندما تصبح القاعدة أن يزحف الناس على بطونهم يعتبر القاعد القرفصاء يشق عنان السماء !

لهذا يجب أن نعود أنفسنا على عصر الحرية الذى بدأناه ، الذين قضوا عمرهم فى الغرف المغلقة يختنقون فى الهواء الطلق ! . . فاذا اختلفت معى فى رأى لا يجوز أن أعتبرك عدوا ، فقد تكون أصدق الأصدقاء ، واذا نقدتنى فى عمل أقوم به ، لا يصح أن أتصور انك تريد أن تغتالنى ، فقد يطيل هذا النقد حياتى ! . . واذا ناقشتنى فى فكرة لا يصح أن اعتبر هذه المناقشة تحديا لى . . بل يجب أن اعلم أن المناقشة تفتح الباب لافكار جديدة ، فكما ان احتكاك حجرين يولد نارا ، فان احتكاك رأيين يولد نورا !

لا يجوز اذا قرأت نقدا فى وزير أن تعتقد انه سيخرج من الوزارة ، او اذا قرأت ثناء فى وزير يتوهم انه خالد فى منصبه . . كثيرا ما نمدح وزراء ويخرجون وكثيرا ما نهاجم وزراء فيبقون ، فليس من اختصاص الصحف فى مصر الحرية أن تسقط الوزراء أو تعين الوزراء ، فان هذا من اختصاص البرلمان !

ولا تتصور أن الولاء للحكام أن نصفق لهم ونهتف بحياتهم ، فان كلمة الحق تنفع الحاكم أكثر مما تنفعه مظاهرة حماسية ، ورب رأى مخلص يكون أعظم تحية

له من قوس نصر !

وفى عصر الحرية ، لا يجوز أن تتهم الناس بغير دليل ، فلغة الديموقراطية هى النقاش والحوار . . ولغة الديكتاتورية هى السب والاهانة وتوزيع التهم الظالمة على كل من يخالفنى فى الرأى وعلى كل من يقول لا !

وفى عصر الحرية يختلف الناس فى التفاصيل ويتشاحنون ، ويتشاجرون ، ولكن فى المسائل الاساسية يتفقون ، فهم ملايين الرجال وملايين الآراء فى مسائلهم الداخلية ، ولكنهم فى الموقف الوطنى وعندما يواجهون عدوا أجنبيا لا يعرفون خلافا ، لا يعرفون أحزابا ، ولكنهم أمة واحدة ورجل واحد !

فى عصر الحرية لا أخاف من أحد الا من الله . ولا أحسب حساب رضاء أحد الا الله !

أما فى عصر الاستبداد ، فاننى أخاف من كل رجل يمشى خلفى ، أو يمشى ورائى . . أو يمشى بجانبى !

فى يد واحد منهم خنجر وفى يد الثانى تقرير ، وفى يد الثالث قيد حديدى !

فاللهم اجعلنا جديرين بعصر الحرية . . واجعلنا نتكلم لغتها !

انتقـــام الله

اوفدته امه إلى اوربا فحصل على اكبر الشهادات ، وعاد الى بلاده وبرز فيها ، وتزوج وانجب ولدا جن بحبه ، ثم اختلف مع امه على ميراث ، وجاء الابن الى المحكمة وانكر انها امه . واستدعاه القاضي الى غرفة المداولة وقال له ان هذه السيدة لا تملك دليلا على انها امك ، ولكن شعورى ان هذه المرأة امك . انني اطلب منك ان تقسم على المصحف امامى ان هذه المرأة ليست امك ، وعندئذ سأرفض دعواها . ومد الرجل يده ووضعها فوق المصحف واقسم ان المرأة ليست أمه ، وحكم القاضي برفض الدعوى !

ونسي الرجل ما فعله بأمه ، وفتحت له أبواب السماء ، وانهمرت عليه الاموال واصبح من اغنى الاغنياء ، وكبر ابنه وغمره الاب بحبه وعطفه وحنانه وماله . بنى له القصور واشترى له السيارات الانيقة .

وذات يوم فوجىء الاب بعدد من الاطباء يقتحمون بيته ويحقنونه بابرة ، وفتح عينيه بعد ذلك فوجد نفسه فى مستشفى الامراض العقلية ! واخذ يصرخ انا لست مجنونا ! انا عاقل ! انا عاقل ! وكان الاطباء يهزون رؤوسهم ويقولون له ان اعصابه متعبة وتحتاج الى علاج بسيط !

ولكنه كاد يجن حقيقة عندما اكتشف ان ابنه الوحيد هو الذى تآمر عليه وأودعه مستشفى الامراض العقلية ، وأنه فعل ذلك ليستولى على ثروته الطائلة لنفسه !

كيف يفعل ابنه الوحيد به كل هذا ؟ هل نسى حبه وعطفه وحنانه ؟ هل نسى الاموال الضخمة التى غمره بها !

وتذكر ان هذا انتقام الله منه ! انه فعل نفس الشىء بأمه التى رعته وربته وخلقت منه هذا الرجل الناجح الذى حقق هذه الثروة الطائلة . . لقد تصور فى وقت من الاوقات ان الله غفر له ، والا لما فتح امامه كنوز الارض بعد ان انكر امه امام المحكمة وتصور ان الله نسيه ، وتصور انه كفر سيئاته عندما بنى جامعًا ، وعندما ادى فريضة الحج ، وعندما دفع الزكاة !

وبعد سنوات عديدة استطاع ان يثبت انه عاقل ، وخرج من المستشفى ، وعرف ان ابنه هاجر من البلد ومعه ثروته ، وبحث عن بيته فلم يجده ، وعن اصدقائه فلم يجدهم . .

وسأل عن امه . . وعلم انها لا تزال على قيد الحياة . . ودق على الباب ففتحت له ، وفتحت له ذراعيها ، واحتضنته . .

ولم تقل له هذا انتقام الله بل قالت له : اهلا يا حبيبى !
ومات وهو بين ذراعى امه !

الصحفى ملك الجان !

بعض الناس يحسنون الظن بالكاتب . يتصورون أن له سلطة ليست له . ويتوهمون أن فيه قدرة ليست فيه . ويعتقدون ان أمامه عدة أزرار ، اذا داس على زر منها دخل مكتبه احد ملوك الجان يقول له « شبيك لبيك خادمك بين يديك » ، فيأمر ملك الجان أن يجىء له بعقد عمل فى السعودية أو بتأشيرة للسفر الى لندن ، أو بعمل فى احدى شركات الاستثمار بمرتب خمسمائة جنيه فى الشهر ، والاسم على بياض !

وحدث مرة أن كتب لى أحد القراء يقول انه يعرف اننى صديق حميم للمستر كارتر ، وان كلمة منى لرئيس الجمهورية الامريكية تكفى ليصدر أمرا الى رئيس مجلس ادارة احدى شركات البحث عن البترول فى مصر ، ليعينه فى منصب كبير . . ويشترط ان يكون المنصب فى القاهرة لان صحته لا تتلاءم مع جو الصحراء !

وأنا لست صديقا لمستر كارتر ، وقد رأيته مرة واحدة فى مأدبة غداء فى واشنطون ، وكانت المسافة بين مقعدى ومقعده سبعة أمتار ! ولا يستطيع الرئيس كارتر ، بكل ما له من سلطان ونفوذ وهيل وهيلمان ، ان يعين ساعيا فى شركة امريكية !

وأتلقى خطابات من طلبة وطالبات يطلبون وظائف وأعمالا اثناء العطلة الصيفية ، وأحار مع هذه الرسائل ، وأنا جالس الى مكتبى لا أعرف الوظائف الشاغرة ، ولا أعرف المؤسسات التى ترغب فى تشغيل طلبة فى فترة الصيف . .

وأحس بخجل شديد من نفسى لاننى أخذل الذين لجأوا إلى ، أو الذين تصوروا ان تحت قبتى شيخا ، فلم يجدوا الا رجلا عاديا لا نفوذ له ولا سلطان . فأنا رجل لا أملك لاحد ضرا ولا نفعا . . لا أستطيع ان أعين ساعيا ، ولا أن أحصل لأحد على علاوة ، ولا أن أرفت خفيرا فى قرية . . ليس فى يدى صولجان ولكن فى يدى قلما . لا أملك الامر والنهى وانما املك ان أقول ما أعتقد أنه كلمة حق . وقد تجد هذه الكلمة أذنا تسمعها ، وقد تضيع فى ضوضاء الحياة !

الصحافة صاحبة جلالة ، ولكن الصحفى ليس ملكا ، انه جندى يحرس حريتها بقلمه ، وحريتها ليست حرية الصحفيين وحدهم ، بل حرية الشعب كله . وعندما يتحول الصحفى الى وسيط فى تعيين موظف او سمسار لتعيين مدير ، يفقد حريته ، فلكى يحصل على مجاملة من موظف كبير يجب ان يجامله . اذا أخطأ تغاضى . . واذا القى تصريحا غير صحيح هز رأسه موافقا ولم يضع علامة تعجب امام التصريح ، واذا عطس الوزير قال يرحمكم الله ، واذا استحم الوكيل قال له « نعيما » . . واذا مرض المدير اقام مأتما ، واذا طرد المدير أقام فرحا !

ومن اجل هذا كان قلم الصحفى هو صولجانه ، وكان سلاح الصحفى هو لسانه ، وكانت نزاهة الصحفى وتجرده هى تاجه . . وكانت حرية الصحفى هى « جلالته » ، وقيود الصحفى هى ذله وهوانه !

فاللهم أدمنا ضعفاء . . لنبقى أقوياء !

السم القاتل

مطلوب من الشعب أن يهب ليدافع عن الوطن ، ويحمى شبابه ويدود عن مستقبله .

ففى مصر اليوم مشكلة ، هى فى رأيى أخطر من مشكلة البلهارسيا ، وهى تهدد الاقتصاد القومى ، وتهدد الانسان المصرى ، وتهدد الشعب كله .. انها مشكلة انتشار المخدرات والاقراص المخدرة بين الشباب !

انه لشيء يمزق القلب عندما نسمع أن تلميذا صغيرا عمره ١٤ سنة يتناول الاقراص المخدرة .. هذا التلميذ ستفقده مصر اذا لم نسرع لانقاذه . لولا هذه الاقراص الملعونة ربما كبر وقدم لمصر خدمات جليلة ، لو لم يفقد عقله ، ويفقد ارادته ، ويفقد صحته ، ويفقد حيويته .

لقد ضبطت مصر فى العام الماضى وحده ٢٥ طن حشيش وأفيون ، فاذا علمنا أن كل طن يضبط يهرب بجواره عشرة أطنان حشيش ، لعلمنا أنه فى عام واحد دخل مصر أكثر من مائتى طن حشيش دمرت مئات الالوف من المصريين !

واذا علمنا انه ضبط حوالى خمسة اطنان اقراص مخدرة فى هذا العام ، فان معنى ذلك أنه دخل مصر أكثر من ٤٠ طنا من المواد المخدرة يكفى لان تفقد مدينة كبيرة بأهلها الوعى !

واذا علمنا أن زراعات الافيون بدأت تنتشر فى بعض قرى الصعيد وانه قد تم ضبط مليون شجرة افيون فى الأشهر الثلاثة الاولى من هذا العام .. فان البقية تأتى !

كل هذا يستدعى أن نواجه الخطر الذى سيعصف بالانسان المصرى ويدمره ويهدد الشباب المصرى الذى نعتمد عليه فى مستقبلنا .

واليوم ونحن نستقبل عصرا جديدا نحتاج الى وعى كامل لا أن نغيب عن الوعى ، وأن نتنبه للغد ، لا أن نسكت على محاولات تحذيرنا .

فى يوم ٢٠ مارس ١٩٧٩ ستكون خمسون سنة قد مرّت على انشاء ادارة مكافحة المخدرات فى مصر ، وقد كانت أول ادارة فى العالم انشئت لمكافحة المخدرات . . فيجب ان ننتهز هذه الفرصة لنقوم بحملة ضخمة ضد المخدرات وضد الدول التى تزرع المخدرات . . ويجب أن نعقد المؤتمرات فى الكليات والجامعات ، ويجب أن نوجه الائمة فى المساجد والقسس فى الكنائس ليحذروا الشعب من الخطر المخيف . ويجب أن نجعل موضوع الانشاء فى كل مدرسة فى خلال ذلك الاسبوع عن مضار المخدرات . نريد حملة واسعة فى الصحافة وفى التليفزيون والاذاعة والسينما . .

كل بلاد العالم بدأت تتنبه لهذا الخطر المميت ، حتى أن البيت الأبيض أنشأ مكتبا فيه لمقاومة المخدرات ، وفى الكونجرس الامريكى لجنة برلمانية لمكافحة المخدرات . ان المتفق عليه أن المخدرات تقاوم بالتوعية خير مما تقاوم بالعقاب .

المخدرات تهدد حضارة العالم كله ، ولهذا مطلوب من العالم اليوم أن يتنبه ويستيقظ ويعمل ويجدد ويبتكر ويفكر فى الحلول التى تساعد على مواجهة أزماته الكبرى .

وكل هذا مهدد اذا غابت نسبة كبيرة من أى شعب عن الوعى ، بسبب المخدرات أو الاقراص المخدرة !

وعى الشعب قادر أن يعيد الوعى . . لمن فقدوا الوعى !

عيد الحب بعد ٣ أيام

بعد ثلاثة أيام سيدق عيد الحب .. ثلاثين بابا مغلقا ! .. سيدفع رسوم القيد لحامل ليسانس استطاع بعد كفاح طويل أن يصل الى شهادة ليسانس الحقوق ، ولا يملك أن يدفع المبلغ المطلوب ليقيد اسمه محاميا .. ويبدأ يشق طريقه فى الحياة !

.. سيذهب الى بيت عروس هشمتها سيارة ، وتحتاج الى علاج طبيعى حتى تستطيع أن تزف الى عريسها وهى ماشية على قدميها دون أن تستند الى عكاز .

ستدفع تكاليف رسالة الدكتوراه لطالب فى الجامعة حائر بين أن يأكل أو يدفع تكاليف الرسالة !

ستفتح كشك سجائر لرجل بدين يزن أكثر من ٢٠٠ كيلو ! عجز الاطباء عن انقاص وزنه .. وفشل فى أن يجد لنفسه عملا . واشترى سيارة تاكسى ليقودها وتهشمت السيارة تحت وزنه الثقيل !

وعشرات من هذه الخدمات البسيطة يقدمها عيد الحب .. ليسعد تعساء ، أو ليشفى مرضى أو ليرفع بعض الهموم عن مواطنين مرهقين متعبين مسحوقين معذبين .

ونحن نريد أن نجعل عيد الحب يدق مليون باب لا ثلاثين فقط .. فى استطاعتك أن تضاعف عدد السعداء فى عيد الحب .. ليس مطلوبا منك أن تثقل ميزانيتك فوق متاعبك من تكاليف الحياة ! اذا كان عندك رغيف خبز يزيد على حاجتك ، فأعطه لجائع ! اذا كان عندك بنطلون قديم فقدمه لفقير يرتعش

من برد الشتاء . . اذا كان لدى طفلتك فستان لا تريده فاحمله بين يديك الى أى طفلة محتاجة فى حارتك أو شارعك أو حيك !

اذا لم تكن تملك أى شيء من هذا فاطلب صديقا قديما لك فى التليفون وقل له أنك مازلت تذكره ! اذا لم يرد رقم التليفون فاذهب الى جار نسيته واسأل عنه . اذا لم يكن لديك تليفون يعمل أو اذا لم يكن لديك جيران نسيتهم فقل اليوم كلمة حلوة لأى انسان !

لا تتصور ماذا تستطيع أن تفعل الكلمة الحلوة فى الانسان ! اذا كان حائرا ترشده ، واذا كان ضالا تهديه ، واذا كان يائسا تبعث فيه بعض الامل ، واذا كان تعيسا تضيء له عود ثقاب فى ظلام الحياة !

واذا عجزت عن أن تقول كلمة حلوة فابتسم ! ان ابتسامة واحدة على فم الملايين تفتح أبواب السماء !

اذا أحببت الناس . . أحبك الله !

عيد الحب يوم السبت ٤ نوفمبر . .

كل عيد حب وأنت سعيد بنعمة الحب .

حقى أن أقــول لا

سألت ما معنى حقوق الانسان . . المصرى ؟

معنى حقوق الانسان المصرى الا يدق زوار الفجر على بابى . الا انتزع من فراشي وأوضع فى مكان مجهول . ألا تعرف اسرتى هل أنا حى فتزورنى أو ميت فتنشر نعيى فى الصحف . . الا اسجن بأمر يصدر بالتليفون . الا أبقى فى السجن يوما واحدا دون ان يحقق معى . ألا يوجه إلى سؤال من المحقق الا بحضور محام اختاره بنفسي . ان أحاكم امام محكمة عادية يتولاها قضاة عدول يقسمون على المصحف ان يراعوا الله فى حكمهم لا ان يقسموا على دفتر التليفون كما كان يحدث فى زمن الارهاب .

معنى حقوق الانسان المصرى ان اقول رأيى بصوت عال . ان اتكلم بلا خوف ولا تردد . الا يبطش بى من أجل عقيدة . اذا أجمع الخمسون مليونا على رأى وكان مواطن واحد له رأى مخالف ، فمن حق هذا المواطن الواحد ان يقول رأيه .

معنى حقوق الانسان المصرى ان يكون من حق كل مواطن ان يختار عمله ، ويختار البلد الذى يقيم فيه ، فلا تفرض عليه اقامة جبرية فى مدينة ، ولا يفرض عليه تحديد اقامة فى بيته . ولا يمنع من الخروج من بلده أو الدخول اليه . ولا يحرم من جنسيته . ولا تصادر أمواله . ولا يوضع تحت الحراسة . ولا تراقب خطواته . ولا تفتح خطاباته . ولا يتجسس احد على تليفونه الا بأمر القاضى .

معنى حقوق الانسان المصرى أنى اذا تألمت استطيع ان اصرخ . واذا ظلمت استطيع ان أطالب بالعدل واذا حوكمت لم تحدث محاكمتى فى جلسة سرية ، بل فى جلسة علنية ، فينشر الدفاع عنى كما ينشر الاتهام ضدى .

معنى حقوق الانسان المصرى ان اتساوى بكل مواطن فى هذا البلد ، فيكون لى كل حقوقه وعلى كل واجباته ، ولا يفضل مواطن على آخر الا بكفايته وعلمه وبمقدار ما اداه لهذا الوطن من خدمات او بذل من تضحيات .

معنى حقوق الانسان المصرى الا يكون فى البلد حزب واحد ولا رأى واحد ، وان يكون المجتمع مفتوح النوافذ والابواب . لا سلاسل فيه ولا قضبان ، لا سياط فيه ولا آلات تعذيب . لا طغيان ولا استبداد ولا استغلال نفوذ .

معنى حقوق الانسان المصرى هو حقى فى ان اخطىء وواجب المجتمع ان يعفو . فلا يأخذ المواطن بزلة قدم ، بل يمد يده ويساعده ان يمشى بغير ان يتعثر ، ولا يتعقب المجتمع الأخطاء بل يشجع على الصواب . يكافىء المجد ويلوم الكسول . يرفع الذين ينكرون ذاتهم ، ويدوس على الانانيين والانتهازيين وقطاع الطريق والمتلاعبين بقوت الشعب . .

ان نضال مصر هو ان تكون واحة حقوق الانسان فى هذه المنطقة ، فى الوقت الذى تحولت فيه بعض بلاد حولنا إلى غابات تحكمها الوحوش !

الموعـــد الأول

امشي فى شوارع القاهرة فأرى شبانا يسيرون بجوار فتيات وتعود بى الذاكرة إلى الوراء إلى ٤١ سنة خلت . عندما عدت من الولايات المتحدة بعد اتمام دراستى . وخطر ببالى ان اخطب فتاة ، واخرج معها نتحدث حديثا بريئا فى الهواء الطلق . وكان من المستحيل ان تقف بسيارتك ومعك فتاة فى شارع عام . .

وخطر ببالى أن أذهب إلى طريق السويس ، وفى بطن الصحراء اختفت السيارة وراء اكوام من الرمال . وما كادت تمر دقيقة واحدة حتى انشقت الارض وخرج منها بائع كازوزه واصر ان اشترى منه ، ورفض ان ينصرف حتى شربت الكازوزة .

وما كدت احمد الله على انصرافه اذا بالارض تنشق مرة اخرى ويخرج منها بائع لب وشيكولاته وجبن وسميط ، واضطررت ان اشترى كل هذه الاشياء وامرى الى الله .

ومرت عشر دقائق ولم يحضر احد وبدأت اتنفس الصعداء ، وانشقت الارض للمرة الثالثة وخرج شحاذ يرتدى ملابس الاعراب وطلب منى قرشين ! قلت له لقد دفعت لبائع الكازوزه ولبائع السميط ، ولكن الاعرابى اصر انه مستقل ولا علاقة له ببائع الكازوزة ولا ببائع السميط . ودفعت المبلغ . واذا بالارض تنشق للمرة الرابعة ويخرج منها بائع جرائد ينادى على صحفه ، واضطررت ان اشترى منه جرائد الصباح والمساء .

وانتظرت ان يتقدم بائع خردوات وبائع يانصيب وبائع فسيخ ولكنني وجدت امامى قرداتى ! نعم قرداتى وسط الصحراء المقفرة . ويدأ القرداتى يدق على الطار ، والقرد يرقص ، والمعزة تقف على يديها وترفع ساقيها فى الهواء . واخرجت قرشين صاغ ودفعتهما للقرداتى ، ولكنه ابى ان يأخذ قرشين . لماذا ؟ لانه لعب ثلاث العاب ، وسعر اللعبة الواحدة قرش صاغ ! قلت للقرداتى اننى لم أطلب منه ان يلعب ، فأكد لى ان « اللعب » اجبارى ، كما يقولون فى بعض دور اللهو ان المشروب اجبارى ! ودفعت القرش الباقى فى جيبى . ولم تكد تمر نصف دقيقة حتى حضر بوليس الاداب !

وفشل الموعد الاول مع الخطيبة واتفقت معها ان نتفاهم ونعرف بعضنا بالتليفون ، وطبعا لم نتفاهم ولم تتم الخطبة والحمد لله !

وكان من المناظر المألوفة عندما يجلس شاب وشابة فى سيارة فى الطريق العام ان السيارات والدراجات وعربات الكازوزة تتمهل وهى تمر بهما ، وكان يتشعلق ركابها فى نوافذها ، ويمدون رقابهم فى داخل السيارة ، ويبحلقون فى وجه الراكبين ، كما يبحلق الطفل وهو يمر بين أقفاص حديقة الحيوان ! ثم لا يبتعد هؤلاء حتى يبدأوا مناجاة الفتاة بمختلف الألقاب والأسماء .. أو بكلمات يعاقب عليها قانون العقوبات ؟

ان عشاق هذه الأيام أسعد منا حظا !

الممنوعات فى السجن

أدخلت اصلاحات كثيرة فى السجون لم تكن فى أيامنا . .

كان جهاز الراديو من المحرمات الويل للمسجون الذى يعثر معه الشاويش على جهاز الراديو . كان يجلد أحيانا . وكان يوضع فى التأديب . . وما أدراك ما التأديب . انه شيء كالجب يوضع فيه المسجون ولا يأكل إلا الخبز الجاف المخلوط بالتراب !

واليوم أصبح من حق المسجون ان يحتفظ بجهاز راديو فى زنزانته !

ومن الأشياء الغريبة الممنوعة « الساعة » فليس مسموحا للمسجون أن يحتفظ بساعة . ولا اعرف الحكمة فى ذلك ؟ إلا إذا كان المقصود ألا يعرف المسجون الزمن وألا يحسب الدقائق الباقية عليه ليستنشق نسيم الحرية !

وكانت دبلة الزواج ممنوعة . وكم رأيت مسجونين يبكون وهم ينتزعون دبلة الزواج من أيديهم . . ورأيت مرة مسجونا كانت دبلة الزواج فى أصبعه منذ سبع وعشرين سنة . . فلما انتزعوها من أصبعه خرجت الدبلة مخضبة بالدم !

وبعد محاولات ومناقشات سمحوا بدبلة الزواج !

وقمنا بحملات كثيرة لأن المسجونين كانوا ينامون على الأسفلت ، أو على البرش ، وكان الاسفلت يأكل لحمهم ويهرى عظامهم . . وذات يوم أمرت وزارة الداخلية بشراء سراير لأحد السجون المصرية ! ورأى مدير السجن أن المسجونين لا يستحقون ان يناموا فى سراير ، فأمر بأن يزرع مساند السراير فى

حديقة السجن أمام الحشائش المزروعة لتزين الحشائش . . ونام المسجونون على الأرض أكثر من ١٥ سنة . . الى أن جاء وزير الداخلية النبوى اسماعيل وسمح بأن ينام المسجون فوق مرتبة !

وكانت المرتبة ميزة ضخمة يتمتع بها المسجون إذا أمر بها كبير أطباء السجن ! وفى كل شهر يساوم المرضون المسجون على المرتبة ، فاما ان يدفع لهم علبة سجائر أو يسحبوا منه المرتبة ويعود المسجون المريض ينام على الاسفلت !

وقد رأيت الأستاذ حسن الهضيبى وهو فى السبعين من عمره وكان مستشارا لمحكمة النقض والابرام قبل ان يكون مرشدا عاما للاخوان رأيته ينام على الاسفلت ، ثم يقرر له الطبيب مرتبة ، ثم يأمر ولاة الأمور بسحب المرتبة وينام فى الشتاء القارص على البلاط . . ثم تنهار صحته وينقل بأمر الأطباء الى المستشفى لينام على سرير !

يجب ان يدخل السرير الى السجون المصرية .

أم السعد !

كانت أم السعد سيدة طيبة جدا ، وكان حظها سيئا جدا ، وكانت أسرة صديقى تتشاءم منها .

وكانت تنسب اليها جرائم لم ترتكبها ، ومصائب لم تكن مسئولة عنها ، وكوارث هى بريئة منها ، ما جاءت مرة لزيارة هذه الأسرة فى المدينة إلا ومرض واحد منها ، أو مات قريب لها ، أو جاءت الدودة أكلت القطن ، أو حدثت مصيبة هزت افراد الأسرة جميعا وعكرت عليهم الحياة ! . . أو كان نادى الزمالك يتغلب على النادى الأهلى فى كرة القدم ، وكانت تلك الأسرة أهلوية تعتبر هزيمة فريق النادى الأهلى كارثة وطنية ومصابا جللا !

وكان افراد الأسرة الشبان يطلبون من والدتهم عميدة الأسرة ان تصدر أمرا بمنع أم السعد من دخول البيت ليمنعوا دخول الشؤم والنحس ، وليستطيع النادى الأهلى ان يكسب الدورى !

ولكن السيدة عميدة الأسرة رفضت ان تغلق بابها فى وجه أم السعد ، وهى فى رأيها مجنى عليها وليست مجرمة . تحمل النحس برغم ارادتها ، لأن هذا قدرها ، لا لأنها تريد ان تجىء بالنحس الى بيت الأسرة السعيدة !

وذات يوم توقفت أم السعد عن زيارة البيت السعيد ، وتنفس أفراد الأسرة الصعداء ، واعتقدوا ان النحس لن يطرق بابهم الى الأبد ! وإذا بواحد من شباب الأسرة يموت فى حادث اصطدام سيارة ، ثم يموت أخ ثان بالسكتة القلبية ، ثم تنطلق أخت عميدة الأسرة بعد زواج سعيد دام ٢٧ سنة ! وإذا

بالسيدة عميدة الأسرة تصاب بالشلل . . النكبات تتوالى على الأسرة بعد اختفاء أم السعد !

كانت المصائب تجىء معها محتملة ، أما بعد غيابها فأصبحت المصائب تنهال على الأسرة المسكينة بلا شفقة ولا رحمة ولا توقف !

وبدأوا يبحثون عن أم السعد ! اكتشفوا أخيرا انها كانت تميمة السعد ، وليست نذير النحس .

عرفوا أخيرا انها ليست (أم قويق) أو (مدام غراب) كما كانوا يسمونها ! ولكنهم لم يستطيعوا ان يعيدوا أم السعد الى مدينتهم التعيسة !

هل هى مصادفة ؟ أم هى نتيجة طبيعية لظلم امرأة بريئة لا ذنب عليها ، وتحميلها مسئولية مصائب لا ذنب لها فيها ؟ أم اننا نخلق العفريت الذى نخاف منه ، بينما الانسان هو العفريت الحقيقى ! ؟

من سخرية القدر ان أولاد أم السعد لم يصبهم النحس المزعوم . أحدهم تاجر خردة يكسب ثلثمائة جنيه فى اليوم ، والثانى مقاول يملك ثلاث عمارات ، والثالث شريك فى مصنع ناجح يدر الذهب ، والرابع تاجر كبير !

إن النحس لا يجىء بأربعة ناجحين أبدا !

القطـاع الذهبى

قال لى صاحب شركة من شركات القطاع الخاص انه سأل عاملين فى القطاع العام عن أجرهما الشهرى . . فقالا : خمسون جنيها مرتب كل واحد منا . . وعرض صاحب الشركة على العاملين ، أن يستخدمهما بمرتب مائة جنيه لكل منهما . . وفوجىء بهما يرفضان هذا العرض المغرى . . وسألهما . . عن السبب . .

فقالا : نحن نأخذ خمسين جنيها ولا نعمل وهذا خير من مائة جنيه فى عمل متواصل .

ولا أعرف اذا كانت هذه قصة حقيقية أم أن صاحب الشركة القطاع الخاص أراد أن يشهر بشركات القطاع العام . . ولكن الذى أعرفه أن هذه مشكلة حقيقية فى القطاع العام والقطاع الخاص معا . . وهى مشكلة الذين يقبضون ولا يعملون ، أو الذين يقبضون ويؤدون ربع العمل فقط أو عشره فى بعض الاحيان . .

مشكلة الذين يزحمون الشوارع فى الصباح ، ويزحمون المقاهى أو يتسكعون أمام واجهات المحال التجارية ، مشكلة الذين حولوا المكاتب والإدارات الى صالونات لتبادل الزيارات .

ولكى نقاوم الغلاء المجنون يجب أن نعمل أكثر ، وننتج أكثر ، ونبدع أكثر ، ونحسن فى قيمة إنتاجنا ونرفع مستواه .

الحذاء المصرى المتين الانيق كان يتكلم كل لغات العالم بغير دعاية وبغير

حاجة الى مستشار تجارى يقنع الدول الأجنبية بشرائه . . ماذا جرى للحذاء المصرى . ؟ لماذا لم يعد يتحمل ما كان يتحمل فى الماضى . ؟ كنا ونحن تلاميذ نلبس الحذاء « ونشوط » به الطوب فى الشوارع . . ومع ذلك كان الحذاء يعيش عاما أو عامين فلماذا يذوب هذا الحذاء الآن فى أقدام اطفالنا بعد شهور ؟

كانت السيجارة المصرية تغزو العالم . . فلماذا نرى هذه السجائر تختفى فى أيام معينة لتظهر بدلا منها السجائر الأجنبية . ؟

كان الغزل المصرى يغزو أسواق اوربا وامريكا . . فلماذا لم يعد هذا الغزل يتحمل ما كان يتحمله فى الماضى . ؟ لماذا نجد الخيط يتقطع سرعة بعد « لبسة » واحدة . ؟

كل هذه النواقص نتيجة لأن عددا منا لا يعمل فى الوظائف الكبرى وفى الوظائف الصغيرة . . نتيجة لتصور البعض أنه لا يقبض مرتبا وانما قبض معاشا . . نتيجة لان كلمة « معلهش » هى القانون الاساسى . . اذا عاقبنا نتوهم أن عقاب المهمل هو عمل وحشى . وإذا كافأنا المجد المنتج فعلنا ذلك مترددين . . وكأننا نرتكب جريمة .

نحن نريد ان ندخل فى بلادنا روحا جديدة . . هى روح العمل الجاد . . مهمة الادارة ان تجد عملا لكل موظف . . فاذا كان لا يصلح لعمل معين نقلناه الى عمل اخر . . لا نتركه أبدا عاطلا يتقاضى مرتبه دون أن يقدم المقرر المقابل لهذا المرتب .

ان الطريقة الوحيدة لرفع الاجور فى بلادنا هى ان نعمل كلنا وان نضاعف انتاجنا وبذلك نرفع اجورنا . . ونخفض الغلاء ونجعل الجنيه الذى فى يدنا قادرا على ان يشترى ضعف ما يشتريه الآن . .

كل واحد منا قادر أن يكون الغطاء الذهبى للعملة المصرية . . اعطونا عملا نعطكم رخاء .

فنعلم أطفالنا احترام القانون

جاء الطفل المصرى المولود فى أمريكا يزور جدته فى الاسكندرية . عمره ست سنوات وأتم روضة الاطفال . ودخل الطفل الى فندق فلسطين بالاسكندرية يحمل فى يديه لعبتين بشكل مسدسين ، وجاء موظف يقول للطفل إن الشرطة تمنع حمل المسدسات . وبغير مناقشة القى الطفل المسدسين من يده . لم يغضب ولم يحتج ولم يبك .

وامسك احد اقاربه بالمسدسين ، وأراد ان يعيدهما الى الطفل ، ولكن الطفل تراجع الى الخلف رافضا ان يلمس المسدس .

قال له القريب : خذ المسدسين والعب بهما لقد ابتعد رجل الشرطة الآن . وسمعت الطفل يقول بحزم : لا . يجب ان احترم القانون سواء كان رجل الشرطة موجودا أم غائبا .

عجبت ان اسمع طفلا فى السادسة من عمره يتمسك باحترام القانون ، وهذه هى نتيجة تربية الطفل الامريكى فى المدارس منذ صغره على احترام القانون .

وكنت أمشى على شاطىء المعمورة بالاسكندرية ووجدت عدة لافتات معلقة على الشاطىء . « ممنوع ركوب الدراجات » . « ممنوع ركوب الموتوسيكلات » . ووجدت عددا من الاطفال ينطلقون بدراجاتهم وموتوسيكلاتهم وسط العجائز والاطفال يثيرون فيهم الفزع والرعب غير مبالين باللافتات . هازئين بالقانون . ساخرين بالممنوع . .

واذا كان الولد الصغير يتعود فى هذه السن الصغيرة على أن يهزأ بالقانون ويهزا بالناس فماذا سيفعل عندما يكبر . سوف يدوس القانون ويدوس الناس .
وماذا تقول للاطفال الصغار الذين احترموا القانون ولم يجيئوا بدراجاتهم الى الشاطىء .

هل نعتذر عن مخالفة القانون بانه لا يوجد رجل شرطة على الشاطىء يصادر الدراجات والموتوسيكلات من الاطفال ؟ .

نحن لا نريد ذلك . وانما نريد ان نعلم اولادنا ان يحترموا القانون احتراما للقانون لا خوفا من العقاب . كما فعل الطفل المصرى القادم من امريكا عندما رفض ان يحمل المسدسين الممنوعين بعد ان اكدوا له ان رجل الشرطة لن يراه .

ان معنى سيادة القانون ان نحترمه جميعا . الاقوياء قبل الضعفاء ، والكبار قبل الصغار ، والأغنياء قبل الفقراء ، وشعورنا جميعا بان القانون هو صاحب الجلالة فعلا هو الذى يجعلنا نحنى له رؤوسنا جميعا . دون ان نخشى ان يقطع بسيفه رقابنا وسيجىء هذا اليوم عندما يحس كل مواطن ان القانون صدر ليخدمه لا ليعاقبه . وقام ليحميه لا ليقيده . وان يطبق على المواطنين جميعا بلا تفرقة ولا تمييز .
سيجىء هذا اليوم عندما يحس المواطن ان القانون هو حارسه الخاص وحاميه وملاذه وملجأه . وهو مانعة الصواعق وهو سيف الضعفاء وقيد الأقوياء .

فلنعلم اطفالنا من روضة الاطفال أن القانون هو صديقهم وليس عدوهم .

نريد أحزاب علماء لا أحزاب خطباء

الحزب الذى يريد أن يحصل على تأييد الشعب اليوم لا يحتاج إلى شعارات ضخمة ولا إلى عبارات فخمة ولا إلى طبول وزمور . كل ما عليه أن يضع خطة علمية مدروسة لانهاء أزمة الاسكان فى خلال خمس سنوات أو عشر سنوات على الأكثر . قد يبدو هذا مستحيلا الآن ، ونحن أصبحنا فى حاجة إلى رجال يصنعون المستحيل ، لان « الممكن » لم يعد ينفعنا ، و « الامكانيات المتاحة » لم تعد تكفينا !

مهمة الحزب أن يستعين باعظم الخبراء فى مصر وفى العالم لحل هذه المشكلة حلولا جذرية سريعة . لم يعد فى استطاعة الناس أن يعيشوا فى داخل عمارات من الكلمات والتصريحات والوعود . يجب أن توضع بسرعة قوانين تشجع على البناء ، وترحب برأس المال من جميع أنحاء العالم ليساهم فى عملية التعمير . ولنذكر أن عشرات الألوف من الشقق خالية الآن فى بعض امارات الخليج ، ورأس المال العربى يبحث عن أماكن أمينة يقيم فيها العمارات والمساكن . ويجب ألا نغضب أن الذى يجىء بأمواله ويبنى عمارة فى بلادنا يكسب مكاسب طائلة ، فخير لنا أن نجد من يكسبون منا على أن لا يكسب أحد منا ويبقى مليون من أهل القاهرة يعيشون داخل المقابر . مهمة الحزب أن يضع مشروع بنك المساكن ليقرض الذين يريدون أن يبنوا بيوتا لهم . مهمته أن يضع قوانين تعاقب مضاربات البناء . . وترغم أصحاب العمارات على الانتهاء منها فى وقت معقول لا تركها سنوات بغير تشطيب .

ان مشكلة الاسكان لم تعد مشكلة البحث عن شقة فقط . انها تحولت إلى

مشكلة اجتماعية تهدد كل بيت ، فهى تفرق بين الأب وأولاده ، وهى تحطم الروابط الاسرية ، وهى تحول الحياة فى بعض البيوت إلى جحيم ، وهى تؤجل قيام ملايين من البيوت السعيدة ، وهى تحطم أحلام الشباب فى الحياة النظيفة والاستقرار .

وهى مشكلة أيضا تهدد الاقتصاد القومى فإن كثيرين من الذين يرغبون فى القيام بمشروعات فى مصر لا يجدون بيوتا لموظفيهم ، ولا ادارات لأعمالهم ، وهذه المشكلة تهدد السياحة فى مصر فان كثيرا من العائلات العربية التى كانت تستأجر البيوت فى مصر لتمضية فصل الصيف فزعت عندما رأت الايجارات الجنونية ، وفضلت الفرار إلى المغرب وتونس ولندن .

هذه المشكلة لا يستطيع أن يحلها وزير واحد . بل هى مشكلة يجب أن نجند لها أعظم المهندسين والخبراء والمقاولين فى بلادنا ، ونعقد لهم المؤتمرات ، ونسمع آراء أساتذة كليات الهندسة وكليات العلوم ليضعوا بدائل عن مواد البناء . . وليقترحوا وسائل رخيصة للبناء .

ان حزب المحافظين اكتسح الانتخابات فى انجلترا فى الخمسينات عندما وضع حلولا سريعة لمشكلة الاسكان !

نريد أحزاب علماء لا أحزاب خطباء !

وجدت الله فى زنزانتى !

انى متفائل بالغد لانى مؤمن بالله . لاننى رأيت على الأرض معجزات السماء . ذقت الفقر وذقت معه غنى النفس . . لم أعرف حلاوة حب الناس . عندما اغلقت الأبواب على ، وحرموا على البشر لقائى وجدت الله معى فى زنزانتى . كل ما أصابنى من بشر أبدله الله خيرا . الضربات التى تلقيتها من الخلف دفعتنى إلى الامام . كل طعنة خنجر اغمدت فى ظهرى اخرجت الدم الفاسد من جسدى . الذين داسوا بأقدامهم على رأسى ثبتوا أقدامى ولم يهزوا كيانى . الصواعق التى سقطت على لم تدمرنى بل جعلت لى جذورا ! عندما أطفأوا النور حولى رأيت نور الله . وعندما قطعوا صلتى بالدنيا أحسست بصلتى بالآخرة ، وعندما انتزعوا أجمل أحلامى عوضنى الله بواقع أحلى ألف مرة من الأحلام !

وقد يكون من حسن حظى انى ورثت الصبر عن أمى ، فاذا أبطأت السماء لا أتعجلها ، ولا أتململ من طول الانتظار ، بل أتصور دائما أن هناك من يستحق الانصاف قبلى ، ولا أتصور فى يوم من الأيام انى أتعس رجل فى الدنيا ، ففى ما مر على حياتى كنت أقول لنفسى أن هناك من هو أشقى منى ، ومن يستحق الرحمة قبلى ! وإذا كان فى جسدى عشرة جروح فقد يكون هناك من فى جسده مائة جرح ! فلانتظر حتى يجىء دورى . وأنا قادر على أن أتحمل بجروحى العشرة أكثر عشر مرات من زميلى فى العذاب الذى يشكو من مائة جرح !

الايمان هو بساط سحرى يحملنا من الشقاء إلى الهناء . . وهو يجعلنا أقوى كثيرا مما نحن فى حقيقتنا . فنحن وحدنا ضعفاء جدا ، ولكننا مع الله أقوى من

كل الطغاة والمتجبرين . . والايمان ينظف قلوبنا من الحقد ، فأنا أتصور الرجل الحاقد انسانا يحمل فى قلبه اطنانا من الزفت والقطران ، وهو لهذا مضطر أن يبطىء فى سيره . . يعجز عن أن يسرع خطواته بسبب عبء ما يحمل . مستحيل عليه أن يصعد إلى قمة الجبل وهو يحمل كل هذه الأطنان . . ان صاحب القلب الأبيض سريع الحركة ، ينطلق ولا يلهث ، ولا يحس بهذا الثقل المضنى الذى يحس به الحقود المعقد بحقده ، المشلول بكراهيته للناس . . والرجل المثقل بالحقد والكراهية أشبه برجل مقيد بالسلاسل والأغلال كلما حاول أن يقف جذبته الأغلال فيسقط ، وكلما حاول أن يتقدم منعه القيد من أن يتحرك . . وإذا رأيت رجلا غير قادر على الحركة . . فحاول أن تفتح قلبه وسترى فى داخله هذه السلاسل والقيود والأغلال !

اننا بالايمان نرى الحب . . وبالحب نرى التفاؤل ، وبالتفاؤل نحول الأمل إلى واقع !

والايمان والأمل والتفاؤل والحب هى دعائم الحياة

أراجع نفسي

اعتدت فى كل ليلة ان اراجع نفسى قبل ان انام . احصى اخطائى وحماقاتى . واكذب عليك اذا قلت لك اننى رجل بلا اخطاء ولا حماقات . كثيرا ما الوم نفسى لاننى غضبت . كنت أفضل لو اننى كتمت غيظى وتحكمت فى اعصابى . وحاولت ان اعالج خطا غيرى بابتسامة . فاذا بالابتسامة تضيع من فوق شفتى وتحل مكانها كلمة ساخرة مؤلمة !

كم تمنيت لو كان قلبى اكبر مما هو حتى يتسع لمن اساء الى . وكم وددت لو كان صدرى اوسع مما هو ليتقبل الاخطاء الكبيرة والأخطاء الصغيرة بغير ان اجرح حتى من جرحنى . ولكن عيبى اننى بشر . افرح احيانا كما يفرح الاطفال . ابكى احيانا كما تبكى الثكالى ! ينزف قلبى من جروح الناس . أحس بآلامهم وعذابهم وكأنها الامى وعذابى ، ثم اعيش مهموما لعجزى ان اضمد جرحا . أو ان ابرىء مرضا ، أو ان اخفف الما ! ويؤنبنى ضميرى لاننى اخشى ان اكون خدعت الناس وأوهمتهم اننى قوى وفى حقيقتى اننى ضعيف ، وأننى قادر وانا عاجز ، واننى صاحب سلطان وانا مجرد من اى نفوذ وسلطان !

واراجع نفسى لاحصى اخطائى طول حياتى فأجد انها كثيرة جدا ! كم من مرة وثقت بأشخاص وغدروا بى ولا اريد ان اتعلم من هذه الدروس ، فلذتى الكبرى فى الحياة ان اثق بالناس ، وان اؤمن بهم ، والا احملهم جميعا مسئولية بضعة افراد غادرين ! وكم من مرات توسمت الخير فى اناس ووجدت فيهم الشر ، فلم اكره الخير بل زدت عشقا فيه ، ولم احمل الخير مسئولية ما جرى لى ،

وانما حملت نفسى مسئولية سوء الاختيار .

ولقد كان سوء تربيتى سببا فى شقائى وخيبة املى فى بعض الأحيان ، فقد تعلمت فى المحيط الذى تربيت فيه بانك اذا خدمت انسانا خدمك اذا كان عارفا بالجميل ، ونسى خدماتك اذا كان ناكرا للجميل . ثم التقيت بافراد كلما خدمتهم اساءوا اليك ، وكلما رفعتهم فوق رأسك داسوا على راسك باقدامهم ! ومن حسن حظى ان هذا النوع من المخلوقات قليل ، فالاغلبية العظمى من الناس طيبون ، يعطون اكثر مما يأخذون ، يجتمعون حولك وقت الشدة وينفضون عنك وقت الرخاء ! وفى بعض الاحيان ينكسر قلبى من النكران ، ثم لا البث ان تلتئم جراح قلبى عندما ارى البراءة والطيبة والحب والتسامح فى عيون الملايين !

ومن اخطائى اننى كثيرا ما رميت الحبوب فى ارض جدباء ! ولكن عمرى لم أندم على الحبوب التى نثرتها ولا لمت الارض التى لم تتجاوب معى ! كنت الوم نفسى فقد اكون انا الذى اخطات لأننى لم اقم برى الحبوب ، حتى تنبت وتكبر وتثمر . ربما انا الذى لم اتعهدها بالعناية فذوت وذبلت وماتت فى الأرض نتيجة الاهمال !

انها اخطائى انا . . . وليست اخطاء الارض الجدباء !

ما اكثر اخطائى !

انها تحتاج الى مراجع حسابات !!

ضحكنا على الشعب المصرى

ضحكنا على الشعب المصرى الكريم ! وعدناه ان نرفع مستوى القرية الى المدينة ، وان نجعل الازقة والحارات فى مستوى الشوارع والميادين . وعندما فشلنا فى تنفيذ وعودنا نجحنا فى ان ننزل بمستوى المدينة الى مستوى القرية وان نهبط بالشوارع والميادين الى الازقة والحارات !

امش فى شوارع المدينة تصطدم بمياه المجارى او بمياه المواسير المنفجرة كأنك فى مدينة البندقية ولا ينقصنا الا الجندول بكابورتات مفتوحة تخرج منها الروائح العطرية وبجانبها اغطيتها ، وقد نسى المسئولون عن المدينة ان يضعوا الغطاء فوق البكابورت !

حفر فى كل شارع وكل ميدان . ومما يؤسف له ان المثل الذى يقول « من حفر بئرا لأخيه وقع فيه » غير محترم ، والا لوقع المسئولون عن التنظيم فى هذه الآبار ، وتخلصت المدينة من أفكارهم النيرة !

لقد أصبح السير فى شوارع المدينة قطعة من العذاب .

وسوف يقولون لنا انهم لا يجدون العدد الكافى من العمال . وسوف نقول لهم ان الامر يحتاج الى اجراء حازم حاسم سريع . هذه الجيوش الجرارة من الموظفين فى الوزارات والمؤسسات الجالسين بلا عمل ، والواقفين لانه لا توجد لهم مكاتب او مقاعد ، أو المزوغين لان الغرف لا تسعهم . هذا العدد من الموظفين العاطلين الذين يزحمون الشوارع فى ساعات العمل . لماذا لا ننقلهم جميعا الى الاعمال التى تحتاج الى موظفين وعمال . ان هتلر جند خريجى

الجامعات لحفر الطرق وكنسها . وماوتسى تونج ارسل الوزراء وكبار موظفى الدولة الى المزارع ليعملوا فلاحين فيها . ونحن لا نريد ان نكون هتلر ولا ماوتسى تونج . كل ما نريده ان نعيد توزيع موظفى الدولة وعمالها طبقا لحاجة العمل . .

مصلحة البريد مثلا ؟ هل تعلم ان بعض المدن الكبرى توزع البريد اربع مرات فى اليوم . بينما الخطاب عندنا احيانا يصل من السيدة زينب الى بولاق فى عشرة ايام بسبب قلة عدد موظفى البريد ؟ ماذا يحدث لو اعطينا كل الموظفين الذين لا يعملون لمصلحة البريد أو للمحافظة او لهيئة التليفونات او للمدارس التى تحتاج الى معلمين ولا تجد العدد الكافى من المعلمين !

سيقولون الميزانية ؟ سنقول لهم ان كل وزارة تتحمل ميزانية موظفيها الذين لا يعملون ، وتحول هذه المرتبات شهريا الى الجهة التى يعملون بها . تصور حالة مصر لو كان كل موظف فيها يأخذ مرتبا يعمل لو كان كل عامل فى مصنع يعمل . لو أنهينا هذه البطالة المقنعة ، ولو وضعنا حدا للعقيدة التى تكونت عند البعض منا بان هذه النقود ليست مرتبات الحضور كل يوم والامضاء على الساعة وتمضية الوقت فى قراءة الصحف والقصص وحل الالغاز المتقاطعة وعمل التريكو وتقشير القرع .

اقلية صغيرة تعمل وتشقى وتكاد تموت على مكاتبها من الارهاق واغلبية تشكو قلة عدد الالغاز فى الصحف والمجلات !

دعــــاء أمــــى

كانت أمى تدعو لنا وتقول « الله يعطيكما حب الناس » !

لم تكن تطلب من الله ان يعطينا المال ، ولا السلطان ، ولا الصحة ! وانما كانت تعتبر حب الناس هو اكبر نعمة يجود بها الله على عباده .

ولقد فهمت معنى هذا الدعاء فى كل محنة عشتها . .

عندما كانت تنهال على قنابل البطش ، كنت اجد مخابىء لى فى قلوب الناس . لم اكن ادق على باب قلب احد . وانما كنت اجد قلوب الناس تحتضننى وتحمينى وتقينى من غارات الايام .

وعندما كنت أواجه أمطار الحياة ، كنت اجد دائما مظلات فوق راسى . وعندما كنت أواجه العواصف والاعاصير كنت اجد ناسا طيبين ، يعرضون حياتهم ومستقبلهم ورزقهم ليكون الواحد منهم مانعة صواعق !

لا استطيع ابدا ان ادعى اننى واجهت وحدى الخطوب التى مرت بحياتى . كنت ضعيفا بشخصى ، وقويا بالناس . كنت بمفردى كالهباء ، وبالناس والإيمان كالجبل . كنت اجد اصغر الناس هم اكبرهم فى التضحية ، وأفقر الناس هم اغناهم بالمروءة والصمود . وكان هذا يجعلنى احس اننى مدين لاشخاص كثيرين ، ولا اعرف كيف اسدد هذه الديون التى تثقل كاهلى . ولقد وصلت الى ان خير ما افعله ان اعيد جدولة هذه الديون ! ان ادفع بالتقسيط ما اخذته دفعة واحدة . ان احاول ان اسعد من فى قدرتى اسعادهم ـ وقدرتى محدودة ! ان

احاول ان امد يدى لكل من وقع على الارض ، ويدى قصيرة ! ان احاول ان امسح دموع المظلومين بمنديلى ، وما اكثر عدد المظلومين . وما اقل مناديلى !

فى يد كل واحد منا ان يحب الناس ! هذا الحب اشبه برصيد تجمعه وتضعه فى البنك ، وتسحب منه فى الازمات . وهذا الرصيد يتضاعف ويكبر بقدر ما تعطى من قلبك ، وبقدر ما تمنح من مشاعرك وحبك للآخرين !

ان هذا شعب اصيل قادر على العطاء ، قادر على الحب . . قادر على البذل والتضحية .

كل واحد منا فقير بشخصه وغنى بالناس ، ضعيف بمفرده وقوى بالناس . ولا تتصور انك فى حاجة الى الاقوياء ليحموك من غائلة الزمن . . ان كثيرين من الاقوياء لا يثبتون فى المحن ، ولا يقاومون النار ، ولا يقفون الا بجوار الاقوياء !

اعط قلبك للناس كلهم . . يعطك الناس قلوبهم كلها !

أنام ملء الجفون !

أما أنا ، فأنام ملء الجفون ، لا اعرف الارق . لا أتقلب فى فراشى من السهد ، ولا أتناول اقراص المنومات .

انها نعمة أحمد الله عليها . ولا يعرف قيمتها الا الذين يهرب منهم النوم . ينتظرونه فلا يجىء وينادونه فلا يلبى ، ويغمضون عيونهم فلا يرونه !

ولعل السبب فى نومى المنتظم اننى لا أسهر لأحاسب الناس . على العكس انام تاركا للملائكة عملية حساب سيئات الناس واحصاء خطاياهم . فهذا امر ليس من اختصاصى ، ومن عادتى الا أشغل نفسى بما هو من شأن غيرى .

وفى بعض الاحيان اتهم نفسى بالقسوة ، فكثيرا ما يجىء عقاب الله للذين اساءوا الى اقسى مائة مرة من اى عقاب اتخيله ، او اتصور اننى قادر عليه . وكثيرا ما تركت امر الذين اساءوا لى الى الآخرة ، وفوجئت بعقاب صارم ينزل عليهم فى الدنيا . . ويبدو ان الانسان اضعف كثيرا من ان يستطيع العقاب أو الثواب !

وانا مثلا اسامح من اساء الى شخصيا ، فهذا شأنى . ولكنى لا أستطيع ان اسامح من أساء الى الناس . . اننى اذا فعلت ذلك اكون اشبه بالمحامى الذى يتنازل عن حقوق موكله بلا استئذان ، ويسمون هذا فى القانون خيانة الامانة !

وبعض الناس يريدون منك ان تجاملهم فتتنازل عن حقوق الآخرين ، وان تغفر لمن اساء الى غيرك ، وأن تنسى ما أصاب الضعفاء الذين لا قدرة لهم على

الدفاع عن انفسهم ، او تضع يدك على افواه الذين يصرخون مستنجدين ضد الظلم الذى يقع عليهم ، او يطالبونك بان تطالب بالرحمة على من قست قلوبهم وماتت ضمائرهم واختفت انسانيتهم ، وضاع الحق بينهم . .

وأحيانا أضعف أواسى وأطلب الرحمة ، اذا كان الامر امرى والعذاب عذابى ، والظلم اصابنى وحدى ! ولكنى لا احب ان اكون فارسا على حساب دموع الآخرين !

انا انسى ما اصابنى وانام .

واذكر ما اصاب غيرى وانتفض فى فراشى !

زينب صدقى !

كانت رسوم زينب صدقى الملونة تغطى جدران الشوارع فى مصر .

كانت صورها الفوتوغرافية تملأ الصفحات الاولى للمجلات . وكانت المقالات عنها وأحاديثها وقفشاتها بابا ثابتا فى كل جريدة تهتم بالفن فى مصر !

كانت اجمل ممثلات المسرح المصرى ، وأكثرهن اناقة ، وكانت توزع فساتينها على بعض الممثلات الكبيرات فتتحدث الصحف عن اناقة الممثلة الكبيرة وتجهل ان الفستان الفاخر الذى ترتديه هو أحد فساتين زينب صدقى القديمة !

ولو أرادت هذه الفنانة ان تكون صاحبة ملايين لكانت . فقد كانت الجواهر الثمينة تلقى تحت قدميها ، والأموال الطائلة توضع تحت تصرفها ، ولكن الفنانة الصادقة فيها جعلتها تدوس بقدمها على المجوهرات ، وتحتقر الأموال ، وترفض الزواج من كثير من اصحاب الملايين الذين عشقوا جمالها ، وهاموا بشخصيتها ، وسحروا بخفة دمها ، وجنوا بروعة تمثيلها !

كانت من أروع الممثلات اللاتى مثلن ادوار الحب على المسرح المصرى . وعندما وضع أمير الشعراء احمد شوقى مسرحيته الرائعة « مجنون ليلى » فى أواخر العشرينات قامت زينب بدور ليلى وقام احمد علام بدور المجنون .

وكان شوقى يذهب كل ليلة ليشهد زينب وهى تنشد شعر الحب فكان لا يتمالك نفسه ويقول « الله الله ياست زينب » ! كان صوتها يسكره ، وكان أداؤها يملؤه نشوة ، وكان جمالها يعيد اليه الشباب !

ورأيت زينب صدقى وهى تمثل غادة الكاميليا امام يوسف وهبى . وعندما كانت تتحدث عن تضحيتها بحبها وسعادتها من أجل حبيبها كان كل متفرج فى مسرح رمسيس يجهش بالبكاء ، فلم يكن يشعر واحد منا ان هذه المرأة تمثل ، بل كان يحس انها هى مرجريت جوتيه ، ويحس بقلبها وهو يحترق ويحرقه معها ، ويراها وهى تموت فيحس كل واحد منا انه يلفظ معها انفاسه الاخيرة ، وعندما كان يسدل الستار على الفصل الاخير وتقف زينب مترنحة وكأنها تبعث من قبرها كانت تلتهب ايدى المتفرجين تصفيقا وتنبح اصواتهم هتافا ، فيضطرون الى اعادة فتح الستار عدة مرات ليحييها الجمهور مع الممثل العظيم يوسف وهبى .

وكانت مصيبة زينب الكبرى لسانها ! كانت امرأة صريحة لا تنافق . واضحة لا تلف ولا تدور . تحرص على كرامة فنها وترفض ان تحنى رأسها . وكانت شجاعتها سببا دائما فى فقرها . . مرت على هذه الممثلة الكبيرة ليال كانت تبيت بلا عشاء وترفض ان تمد يدها لمخلوق أو تداهن صاحب نفوذ وسلطان . وكانت ايام مجدها تفتح بيتها للناس . تطعم الجائع ، تكسو المحتاج ، تسدد ديون العجوز ، تدفع مصاريف المستشفى لمريض . . واستمرت تفعل هذا بعد ان فقدت مواردها ، كانت توفر من طعامها لتطعم جائعا ، وترتدى ثوبا قديما لتعطى زميلة محتاجة ثوبها الجديد وجمعت أخيرا خمسمائة جنيه . . قالت انها جمعتها لمصروفات جنازتها ودفنها !

وعندما سمعت عن حادث السيول تبرعت بها كلها !
وأمس نقلوها الى مستشفى المعادى وهى فى حالة خطرة اثر نزيف من رأسها !
الله معها !

البناء بدل البكاء !

كانت اسرته تملك عددا من المطاحن تدر عليها دخلا كبيرا . .

واستيقظ جلال ذات صباح فوجد انه أصبح لا يملك مليما ، لقد وضعت كل المطاحن التى تملكها اسرته وكل ما يملك تحت الحراسة .

ولم يضُع وقته فى الشكوى والبكاء والاحتجاج والاسترحام ورفع القضايا ، بل حمل شهادة بكالوريوس كلية التجارة وسافر الى ليبيا . . ولم يجد عملا . . وصدر قرار بان كل من ليس بيده عقد يغادر ليبيا فى خلال ٢٤ ساعة . ولم ييأس . وجد شركة تأمين يديرها مصرى ، وقال له انه مستعد ان يعمل فى وظيفة ساع حتى لا يطرد . وامتحنه المدير المصرى فوجده يجيد اللغة الانجليزية ، وسأله كم تريد ؟ قال : انا مستعد ان ابدأ بأى شىء . . وعينه المدير المصرى بمائة وأربعين جنيها ليبيا ، ثم ذهل المدير من قوة اقدامه وسرعة بته ودأبه على العمل . كان يعمل ١٥ ساعة كل يوم ، وارتفع مرتبه الى ٢٠٠ جنيه ، ثم بعد عامين وصل الى ٣٥٠ جنيها ليبيا ، أى سبعمائة جنيه مصرى فى تلك الأيام .

ودخل الى مكتب المدير يقول له انه قرر تقديم استقالته . . وعرض عليه المدير رفع مرتبه ، ورفض الشاب المصرى وقال : اريد ان اسافر الى امريكا وعمل مندوبا لشركة تأمين وفشل ! ولم ييأس . . ولم يعد الى ليبيا ، ولم يعد الى مصر . كانت قد ظهرت موضة البنطلونات الجينز ، واشترى عددا من البنطلونات ، ومشى فى شوارع مدينة لوس انجلوس يبيعها للشابات والشبان .

ونجح .. فافتتح محلا صغيرا لبيع البنطلونات ونجح .. فافتتح محلا اكبر ، ونجح .. وفتح ٥ محال فى مدينة لوس انجلوس ، ونجح .. فتح سبعة محال اخرى فى مدينة سان فرانسيسكو تبيع البنطلونات الجينز ! .. واصبح جلال الزوربا من شبان كفر الدوار مليونيرا فى امريكا ! وأحد محاله التسعة اكبر من الطابق الاول من محلات عمر افندى فى القاهرة .. وانتقل من البيع بالقطاعى الى البيع بالجملة ، واصبح جلال يكسب من عمله الضخم اكثر من مليون دولار فى السنة !

وقرر ان يتزوج من فتاة مصرية ، من حدائق القبة ، كانت طالبة فى الجامعة ، فأخرجها من الجامعة وتزوجها ، وانجبت له ولدين مصريين ..

وعمره الآن ٣٦ سنة ، وله بيت جميل كبير فى ضاحية بيفرلى هيلز فى هوليوود حيث يسكن كبار نجوم وكواكب السينما ، وفى بيته حمام سباحه فيه ماء دافىء فى الشتاء ، وله حديقة غناء !

ومن الطريف انه عندما تزوج اقام فرحا فى فندق هيلتون ، ولكن عندما عاد الى امريكا رفض اصدقاؤه الاعتراف بهذا الفرح ، فأقاموا له فرحا آخر فى فندق فى لوس انجلوس على قمة جبل ، ورقصت فيه الامريكيات الرقص البلدى منافسات الراقصات المصريات !

وقرر جلال ان يجىء الى القاهرة لاقامة مصنع للملابس الجاهزة !

لقد وفر المناديل التى كان سيملؤها بالدموع مدة خمس عشرة سنة .. وبدلا من ذلك بنى عملا تجاريا يدر عليه مليون دولار كل عام !

ان الوقت الذى نضيعه فى البكاء يمكن ان نستفيد منه فى البناء !

فلنكف عن الاخطاء !

عشنا فى هذا الأسبوع بضع ساعات مريرة بغير ماء وبغير كهرباء عرفنا هذا العذاب لبضع ساعات . آه لو علمنا ان ملايين من المصريين يعيشون سنوات طويلة بغير ماء وبغير كهرباء . ملايين منا يحملون كل صباح الصفائح فوق رؤوسهم ليملأوها بالماء . . منهم ملايين فى مدينة القاهرة نفسها ! ملايين منا يعيشون على لمبة الجاز رقم ٥ التى تعمى العيون ، ولا يعرفون جمال النور ولا بهجة الكهرباء . ملايين من الطلبة يحملون كتبهم كل ليلة ، ويقفون تحت مصابيح الشوارع ليذاكروا دروسهم ، لانهم لا يستطيعون ذلك على ضوء الشموع !

اذا كان هؤلاء يتحملون هذا العذاب العمر كله . . فليس من حقنا ان نشكو ونلعن لاننا حرمنا من الماء والكهرباء بضع ساعات !

ولكن من حقنا ان نعجب لما يقال لنا بان سبب انقطاع الكهرباء مرة هو الشبورة ، ومرة اخرى هو الرطوبة ! والذى نعلمه ان اسلاك الكهرباء فى بلاد العالم الاخرى التى تهب فيها العواصف والاعاصير وتسقط فيها الثلوج لا تنقطع فيها الكهرباء فى العاصمة وعدد من البلاد الاخرى فى وقت واحد ! سمعنا عن صاعقة كهربائية أوقفت الكهرباء فى نيويورك ، ولكننا لم نسمع عن شبورة توقف الكهرباء !

لم لا يقال لنا . . . ان هناك اهمالا فى بعض صناديق الاتصال بين الكابلات ونحب ان نعرف من المسئول عن هذا الاهمال ؟ وما هو العقاب الذى انزلناه بالمهملين !

لقد قيل لنا فى يوم من الأيام ان كهرباء السد العالى ستخفض سعر الكهرباء الى ملاليم فاذا بها تضاعفه عدة مرات . وقيل لنا ان هذه الكهرباء ستكفى كل طاقتنا الكهربائية ونسمع الآن عباقرة يقترحون ايقاف بعض المصانع لانه ليس لدينا ما يكفينا من كهرباء . وقيل لنا ان هذه الكهرباء ستنقذنا من كهرباء شركة ليبون الملعونة ايام فأر السبتية الذى كان يقطع الكهرباء مرة كل شهر ، فجاءت ألوف الفيران تقطع الكهرباء كل يوم !

اننا نستطيع ان نتغلب على كل متاعبنا باسلوب حضارى هو ان نكشف عن الأخطاء ولا نخفيها ، وان نحاسب المخطىء ، ونكافىء المجتهد .

وعندما نضىء النور سنرى كل شىء !

مصر مليئة بالصحارى والأراضى الشاسعة . ومن العجيب أننا ننسى هذه الحقيقة ونتزاحم داخل المدن حتى نكاد نختنق فيها . الحل السريع أمامنا هو ان نمد الكهرباء والمجارى والمياه الى الأراضى الصحراوية المحيطة بالقاهرة ، وننشىء فى كل منطقة مدينة صغيرة .

ان ضاحية مصر الجديدة كانت عبارة عن صحراء جرداء ، الى ان جاء البارون امبان ، وبنى فيها عدة بيوت صغيرة من طابق واحد ، وكان ايجار الفيلا من طابقين اربعة جنيهات فى الشهر وبعضها كان بخمسين قرشا !!

ان أرخص ما نفعله هو ان ننشىء بيوتا من طابق واحد فلا نحتاج للحديد الغالى الثمن ولا للأسمنت الغالى الثمن ولا للمصاعد ! ولا للشركات التى تطلب منا ان ندفع الوف الجنيهات مقدم الثمن ونقسط الباقى على عشرين أو ثلاثين سنة !

لابد من حل سريع ، ونحن الآن نحتاج الى حوالى مليونى شقة ، وفى كل يوم تزداد ازمة المساكن وتتفاقم ، وما يمكن علاجه اليوم سوف يستحيل علاجه غدا . . يجب ان نخفض اسعار الأرض المجنونة المسئولة عن الأزمة الخانقة !

ان الدولة تملك هذه الصحارى ، ويجيء مغامرون ويستولون على هذه الأرض ، ويغتصبونها ، وينتظرون حتى يمتد العمران اليها ، ثم يكسبون الملايين ، بينما الشاب لن يستطيع ان يحصل على شقة الا عندما يبلغ الستين من عمره !

لقد أحسن مجلس الشعب عندما طالب بأن نجند كل شركات القطاع العام لبناء مساكن لمحدودى الدخل . فالبلد ليس فى حاجة الى شقق فاخرة ، وانما فى حاجة الى شقق صغيرة ، ليس فى حاجة الى فخامة وأبهة ، وانما فى أشد الحاجة الى سقف يأوى . لقد صرح أحد الوزراء بان القاهرة وحدها فيها مليون مواطن يسكنون فى المقابر والأكواخ . .

اننا نحتاج الى اصدار قرارات جريئة تجعل من حق كل من يعقد قرانه ان يحصل على ارض بالمجان فى أراضى الصحراء ، وفى الوقت نفسه نخصص مبالغ كافية لمد المرافق العامة الى هذه المناطق وبذلك يكون لدينا فى السنوات القادمة الف « مصر الجديدة » والف « معادى » . . والف مدينة جديدة !

فكرة تدل !

وينثني ويهنىء سيادة المدير العام بعيد الأضحى المبارك اعاده الله عليه ، وعلى المسلمين جميعا بالخير والبركات !

رأيت خروفا يذبح فى عيد الاضحى المبارك . .

ولم يكن الخروف خروفا ، بل كان انسانا !

ولم يكن الذى يذبحه جزارا ، وانما كان زميله وصديقه ويشاركه فى مكتب واحد !

كان الصديق الجزار يذبح صديقه بلا رحمة وبلا شفقة ولا انسانية !

ورايته ياكل لحمه ، بلذة ، وكأنه يستطيب اجود لحم فى الدنيا . . لحم الصديق !

وكان ذلك فى مكتب مدير احدى الشركات الكبرى ، ودخل الجزار ينحنى

وبعد ان انتهى من تقديم واجبات التملق وفروض مسح الجوخ همس فى اذن المدير العام بان هناك فضيحة كبرى تتحدث عنها الشركة ، وقد وجد أن من واجبه ان يسرع ويبلغ بها سيادة المدير العام حتى يتلافاها ، وذكر ان هذه الفضيحة تتلخص فى ان رئيسه فى المكتب يرتكب كذا وكذا من الجرائم والموبقات وانه يخالف القوانين ، ويعتدى على اللوائح ، ونصف دستة من التهم التى يكفى بعضها لتعليق رئيس المكتب فى المشنقة !

ولم يحقق المدير العام التهم ! وانما حكم على المبلغ انه يعرف انه اصدق صديق لذلك الرئيس الذى يتآمر عليه ، وهو صديقه الذى يلازمه ، ومحسوبه ، وذلك الرئيس ينفق عليه ، يعطيه نقوده عندما يحتاج الى نقود ، ويعطيه ملابسه عندما يحتاج الى ملابس ، ويرسل له طبيبه ليعالجه مجانا عندما يمرض ، ، ويحمله فى سيارته كل يوم الى بيته حتى يوفر عليه مصاريف الاوتوبيس !

أحس المدير العام على الفور ان الجزار نذل ! ولايمكن ان تقبل شهادة النذل الذى يطعن صاحب الفضل عليه بخنجر مسموم . لايمكن ان يثق فى موظف يعض اليد التى تطعمه ، ويرد على هدية اللحم التى ارسلها له صديقه ورئيسه فى الصباح بذبح هذا الصديق فى المساء ! ان النذل لا يجوز ان تقبل شهادته فى المحاكم !

وقال الجزار انه مستعد ان يقوم بأعمال الخروف الذى ذبحه !

وقال له المدير العام ان تقاليد الشركة عندنا الا يرث الاموات الاحياء . . انتظر حتى يموت صاحبك . . وبعد ذلك تقدم لترثه !

وخرج الجزار مذهولا !

وشعرت فى لحظة أن الجزار اصبح هو الخروف المذبوح !

يا رب امنح الحب لمن يعرفوا الحب

يارب !

افتح قلوبنا واملأها حبا وحنانا ورحمة وصداقة ومروءة . اخرج من قلوبنا الكراهية والبغضاء ، والانانية والحقد والشحناء !

اجعل شفاهنا تنطق بكلمة حلوة تسعد تعيسا ، وتملأ روحا بائسة بالامل !

اجعل عيوننا ترى محاسن الناس لاعيوبهم ، ترى الجميل الكثير فيهم ولاترى القبيح القليل منهم .

يارب اعطنى نعمة ان احب الناس ليحبنى الناس ، واعطنى القدرة على مساعدة الناس لأستمتع بجمال الحياة . . فالحياة تزداد جمالا عندما نستطيع ان نمد يدنا لمن وقع على الأرض ليقف على قدميه ، وعندما نرمى حبة من الخير فى ارض جدباء فينبت فيها الحب ، وعندما نساعد انسانا فقد الرؤية ليعبر طريق الحياة !

يارب اجعل الحياة جميلة بالحب ، ولاتجعلها مظلمة بالحقد . اغسل قلوبنا حتى لانحسد ناجحا على نجاح ، بل اعطنا حب الكفاح لنحقق مثل هذا النجاح . اجعلنا اكبر من ان نحقد على الذين تخطونا ، بل اعطنا القوة ان نحبهم لنقلد كفايتهم ، لا لننقص من قدراتهم ، لنعلوا الى مستواهم ، لا ان نجذبهم الى الارض لينزلوا الى مستوانا !

يارب اعطنى بعض سماحتك وبعض غفرانك وبعض صبرك على

مخلوقاتك . . اذا اساء الى انسان احاول ان اعفو عنه ، واذا قسا على انسان احاول ان ارحمه واذا شتمنى انسان احاول ان انساه . . فاذا عجزت عن ان اكبر الى هذا المستوى ، فاعطنى القلب الذى يجعلنى لا أتولى بنفسى عقاب الذين اساءوا الى ، فانت الذى تتولاه بنفسك ، ولا اريد أن اشاركك فى حقك . انت تعلم مالا اعلم . وانت تعرف ما لا اعرف . فربما ظلمت الناس وانا اتوهم اننى اعدل بينهم ، وربما تصورت بسذاجتى انهم اساءوا الى ، وانا الذى اسأت اليهم .

يارب امنح الحب لمن لم يعرفوا الحب . انت تعطيهم السعادة بعد الشقاء ، وتمنحهم النور بعد الظلام . .

يارب املأ هذا البلد حبا . . املأه سعادة وهناء ورخاء !

هذا دعائى اليوم فى عيد الحب !

أعطانى الله كثيرا

اعطانى الله اكثر مما اعطيته بالإيمان ، فاعطانى الأمن والأمان . وأعطانى الأمل وحب العمل . واعطانى القلب الذى أحب به الناس .

كلما اظلمت الدنيا رأيت نوره . . وكلما سدت فى وجهى أبواب الحياة فتح لى أبواب النجاة . .

إذا هويت رفعنى . وإذا تعثرت اقالنى . وإذا ضللت أرشدنى ، وإذا تهت هدانى وزاد من إيمانى !

وقد يحدث ان تتأخر نجدة السماء ، فلا اتململ ولا أضيق ولا أتعجل رحمة الله ، فأنا أعلم أن المسافة بين السماء والأرض طويلة جدا ، ولكن رحمة الله تصل إلى مخلوقاته بسرعة أضعاف سرعة الصاروخ !

وكم من المرات رأيت يائسين قانطين يتصورون ان اصواتهم الضعيفة المسكينة لا تصل إلى السموات . يتوهمون أن همساتهم تضيع وسط العواصف والأنواء . ثم يكتشفون أن همس الضعيف يصل إلى الله أسرع مما يتصور . . فنحن لسنا فى حاجة إلى أن نصرخ ليسمعنا الله . . كل ما علينا ان نصبر . وهذا الصبر هو ميكروفون يضاعف قوة الهمس ألوف المرات !

ونخطىء إذا تصورنا أنه يكفى ان نعبد الله بالصلاة . نحن نعبده أيضا بالعمل ، ونعبده بالشرف ونعبده بالحب . ونعبده بالتسامح ونعبده بعدم التعصب ، ونعبده بالمروءة . . والصداقة والإخاء . . والتضحية ونكران

الذات . .

أعرف رجلا قال له الأطباء إنه لن يعيش سوى ستة أشهر ، وسافر إلى انجلترا ، فقال له الأطباء ستعيش خمسة أشهر . . وسافر إلى أمريكا فقالوا له ستعيش بين أربعة أشهر وثلاثة أشهر !

ثم عاد الرجل إلى القاهرة ، وفتح النافذة والقى منها كل الأدوية والعقاقير . . ونظر إلى السماء وقال يا رب !

• ومضى عليه ١٧ سنة منذ ذلك الوقت وهو على قيد الحياة !

هل الايمان هو الذى ابقاه حيا ؟

أو ان الأعمار بيد الله وحده أو هما الاثنان معا !

لست أدرى . .

الدنيا مليئة بالناس الطيبين

لا تصدق من يقول لك إن الناس « وحشين » ! كلا . . . الدنيا مليئة بالناس الطيبين وليس عيبهم أنك لم تعرفهم ، وإنما عيبك أنك لم تعرف الطريق إليهم . أعجب لقوم لا يلقون الحب على الأرض ، ثم يتهمون الأرض بإنها جدباء لا تنبت ! فلابد أن تزرع الثمرة ولابد أن تعطى لتأخذ . ولابد أن تفتح قلبك للناس ليفتحوا لك قلوبهم !

الناس طيبون إذا أحببتهم ، وشريرون إذا كرهتهم . الانسان كالطفل تماما . ألا تلاحظ أن الطفل يرتمى فى أحضان من يحب الأطفال ، وينفر من الذين لا يحبون الأطفال ؟ فى داخل كل واحد منا « رادار » يلتقط نبضات الآخرين ، ولهذا لا يمكن ان تتصور أن من تكرهه يحبك ، ومن تريد ان تخنقه يعانقك . بل انك تجد الكلاب لا تعض إلا الذين يكرهون الكلاب !

إذا أساء إليك إنسان فلا تحكم على كل مخلوقات الدنيا بجريمة إنسان واحد . أنت كالذى يأكل تفاحة فتمغص بطنه ، فيقرر أن يمتنع عن أكل التفاح لأنه فاكهة تسبب المغص وآلام المصارين ! تفاحة واحدة معطوبة ليست دليلا على أن كل تفاح الدنيا ملىء بالديدان !

والذين يصفون كل الناس بالشر والحقد والضغينة والبغضاء والحسد لا يصفون الناس وإنما يصفون انفسهم ، فهم ينظرون إلى وجوههم فى المرآة ويتصورون أن كل الناس مثلهم ، فيهم نقائصهم وعقدهم ومركباتهم . . وإذا أردت أن يحبك الناس فادخل قلبك إلى الحمام . اغسله من كل الاساءات .

حاول أن تذكر لكل صديق لك الشيء الطيب الذى فعله من أجلك . وحاول أن تنسى الشيء الذى ضايقك منه ! كل واحد منا لا يحسب أغلاطه ولكن يحسب أغلاط الآخرين ، ويكبرها ويضخمها ويبالغ فيها . ولو استطاع كل منا أن يكون عادلا مع الناس كما هو عادل مع نفسه ، وأن يسامح الناس كما يغفر لنفسه لقل كثيرا عدد الذين لا نحبهم . .

الانسان يجب أن يكون كبيرا جدا حتى يستطيع أن ينسى الاساءة ، وكلما صغر حجم الانسان لجأ إلى الانتقام !

الناموسة مثلا تقرص من يهشها ولكن الفيل لا يدوس من يدفعه بيده !

الرجل القوى يعفو والرجل الضعيف يبطش . الشجاع يرحم والجبان ينكل .

فليحاول كل واحد منا أن يكبر أمام نفسه فيتصف بصفات الفرسان الذين تتجلى فروسيتهم فى الرحمة والمحبة والعفو . .

الأقوياء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يحبوا الناس !

أما الضعفاء فيحاولون التستر على ضعفهم وهوانهم وضالتهم بكراهية الناس !

الدنيا مليئة بالناس الطيبين ! افتح قلبك . . وسوف تراهم !

لا تنكروا عيد بك

ان كل مدير يدير مؤسسة يعتبر نفسه فوق الاخطاء وفوق الاغلاط . . إذا خسرت مؤسسته فهذه ليست مسئوليته .
. . وإذا هبط انتاجها فهذه اشاعات المنافسين . . وإذا افلس مشروعه فهذه أيد خفية حاربته فى الظلام .

وعندما اكتب مثلا عن سوء معاملة الموظفين فى أحد متاجر القطاع العام للزبائن ، اتوقع أننى ساتلقى فى اليوم التالى خطابا من رئيس مجلس الادارة يؤكد ان جميع موظفيه وموظفاته ملائكة نزلوا من السماء لخدمة الزبائن . . ولا يفكر هذا المدير انه يخرب شركته بهذا التهاون ، فإن أول صفة فى البائع ان يكون مؤدبا والمثل يقول « الزبون على حق دائما » فليس من حق البائع أن يشخط فى الزبون لأنه موظف حكومة . . وليس من حقه ان يعامله كانه متسول دخل المحل التجارى ليستجدى قرشا من المحسن الكبير بائع البسطرمة .

ان مدير المصلحة الذى يتوهم ان مهمته الأولى ان يدافع عن اخطاء ترتكب فى مصلحته لا يبرىء المصلحة من اخطاء ، انما هو يعترف بأنه شريك فى الاخطاء ، وصاحب مصلحة فى استمرارها . .
ولهذا يجب ان يهتم كل مدير مؤسسة بأى شكوى يتلقاها ولا يعتبر ان الذى ينقد عمله هو عدو له ، يجب ان يعلن الحرب عليه . . بل عليه ان يعرف ان هذا النقد يخدمه ويفيده . . فلولا اننا عرفنا الخطأ لما وصلنا الى الصواب . .

ان معرفة عيوبنا لا تسىء الينا ، وانما الذى يسىء الينا ألا نعرف هذه العيوب . . وان نتصور اننا ندير عملا ناجحا بينما هذا العمل يضعف ويذبل .

أعطنى قلبا يعرف كيف يصفح

يارب !

اعطنى قلبا كبيرا يحب كل الناس . يحزن لشقائهم ويسعد لهنائهم . قلبا قادرا على الحب وعاجزا عن البغض . قلبا يعرف كيف يصفح ولا يعرف كيف ينتقم قلبا لا يرتعد من الخوف . ولا يقسو على الضعيف . قلبا مفتوحا يدخله الذين يحبوننى والذين لا يحبوننى . . فمن حق الذين أحبونى أن افتح لهم قلبى ، ومن حق الذين كرهونى ان يدخلوا قلبى ليروا ان ليس فيه ضغينة لأحد منهم .

يارب !

اعطنى شجاعة الاعتراف باغلاطى ولا تعطنى جرأة التمسك باخطائى اجعلنى كبيرا امام نفسى فأصلح ما أفسدت ، وأداوى ما جرحت ، وأبنى ما هدمت ، ولا تجعلنى صغيرا اعتبر اخطائى مفخرة واغلاطى أوسمة وتفاهتى عبقرية ، وهبوطى سموا ، وبطشى بالناس رحمة ، واستعلائى على الضعفاء علوا !

يارب !

اعطنى أصدقاء المحن . الذين يقفون معى فى العواصف ، ولا تعطنى أصدقاء المصالح الذين يظهرون فى المواكب ويختفون فى المعارك ، والذين يقبلون مع الدنيا إذا اقبلت ، ويدبرون مع الدنيا إذا ادبرت ، ويرفعوننى على رءوسهم عندما ارتفع ، ويدوسوننى بالأقدام عندما اقع !

يارب !

لا أريد المال وانما أريد الايمان . . لا أريد الجاه وانما أريد القدرة على مساعدة الناس . . لا أريد أن اكون مهيبا ، وانما أريد ان اكون محبوبا . ما فائدة ان يحنى الناس رءوسهم لى ويلعنونى فى سرهم ؟ ! ! إننى أجد متعة فى حب الناس اضعاف اضعاف المتعة التى يجدها الذين يتهالكون على المناصب أو الذين يجمعون الثروات الطائلة أو الذين يعشقون السلطة والسلطان !

يارب !

أنا لا أطلب عمرا طويلا ، وكل ما أطلب منك ان تساعدنى ان استطيع مادمت على قيد الحياة ان اخفف أنين متألم ، أو ان ارفع صوت من لا صوت له ، أو ان أمد يدى الى واقع على الأرض ، أو ان ادافع عن مظلوم أو ان اتصدى لظالم !

يارب !

اعرف أننى طماع لأننى اطلب منك الكثير ، ولكنك عودتنى دائما ان تعطينى الكثير . .

اعطنى يارب حبا كثيرا لاعطيه للناس جميعا !

هذا كان دعائى فى ليلة نصف شعبان !

الحياة تبدأ بعد الستين !

كان لورد بيفر بروك . . صاحب جريدة الديلى اكسبريس ملك الصحافة فى انجلترا ، قد بدأ من الصفر وصنع امبراطورية صحفية . وبعد أن مات انتقلت ثروته الهائلة من الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتليفزيون فى مختلف أنحاء العالم إلى ابنه سيراتكنز .

وانتظرت أن أعرف ماذا سيفعل الابن بهذه الامبراطورية الضخمة ، وفوجئت بأنه باعها ليستريح من عناء العمل الصحفى الشاق ويستمتع بالحياة . . وإذا بى أعلم أنه لم يكد يعتزل العمل حتى مرض ولايزال مريضا إلى اليوم . . فالعمل الشاق يشقى ولكنه يحيى ، والبطالة تريح ولكنها تميت !

ودهشت عندما علمت أن أغلب المديرين الذين طلبوا الاحالة إلى المعاش بعد وفاة لورد بيفر بروك واعتزلوا العمل وأخلدوا للراحة ماتوا !

وأن بينهم مديرين فى الأربعين من عمرهما لم تحتمل صحتهما البطالة فماتا فجأة وأعرف مديرا منهم فى الرابعة والستين من العمر استقال ورفض أن يعتزل ، اشترى بمكافأته أرضا زراعية بقرب لندن ، وبدأ يبنى فيها بيتا بنفسه دون أن يستعين بعامل واحد ! وفى العالم اليوم موضة جديدة وهى أن يتولى الانسان بناء بيته بيده دون أن يعتمد على مساعدة أى عامل آخر ، وتؤلف كتب تشرح لك كيف تقوم بمهمة عامل البناء ، والكهربائى والنجار والحداد وحدك وبلا شريك !

العجيب أن انهماك هذا الرجل العجوز فى البناء حافظ على صحته ،

واستطاع إلى جانب هذا العمل الذى يقوم به فى وقت فراغه أن يقوم بمشروعات جديدة يكسب منها مبالغ طائلة .

العمل يطيل العمر ، والبطالة تقصر العمر . وعرق العمل هو اكسير الحياة ، والذين يختارون البطالة إنما يختارون الموت البطىء !

إذا بلغت سن المعاش فلا تظن أن هذا نهاية العالم . انها بداية حياة جديدة . أعرف رجالا بدأوا مشروعات جديدة وهم فى سن الستين من عمرهم ، واستطاعوا بخبرتهم أن يعوضوا نشاط الشباب ، واستطاعوا برؤوسهم أن يفعلوا مالم تفعله العضلات !

لايهم أن تبدأ بوظيفة أصغر كثيرا مما كنت فيها قبل أن تبلغ المعاش المهم أن تعيش .

والعمل هو طريق الحياة !

بعد وقف « فكرة » ٤٠ يوما !

رجع ما انقطع !

أعود إلى كتابة « فكرة » بعد انقطاع دام ٤٠ يوما ! ما أمر الفراق بين المحبين ! وماأطول اليوم الذى يغيب فيه الكاتب عن قرائه الذين تعود أن يلتقى بهم كل صباح . . اليوم الذى يغيب فيه الأحباب عن بعضهم البعض طوله ألف سنة !

وأنا اليوم أشعر بسعادة وأنا أعود إلى الذين أحبهم ، سعادة الطفل بالعودة إلى أحضان أمه ، وسعادة الأب بلقاء ولده الوحيد ، وسعادة الأخ بقدوم شقيقه الغائب . كل قارىء من قرائى هو واحد من هؤلاء . هو ابنى وأبى . هو أخى وأختى . هو ابنتى وأمى . . هو حبيبى ! جروحى تؤلمهم ، وعذابى يشقيهم ، وأفراحى تسعدهم ، ودموعى تتساقط على خدودهم !

أعود إليهم وأنا أكثر عشقا لوطنى ، وأكثر إيمانا بالحرية والديمقراطية مما كنت وكل يوم يزيدنى يقينا بالطريق الذى شقته القيادة الوطنية وأجمع عليه الشعب واعتنقه وبشر به ، وهو طريق الحرية والديمقراطية وسيادة القانون . . طريق ١٥ مايو .

أعود وأنا أشعر أننى ضعيف بشخصى ، قوى بالحرية فى بلدى . عاجز بنفسى قادر بإيمان وطنى ، أمشى فى موكب الحق ، وأحارب كل معارك مصر . فوطنى هو كعبة الحرية وهو ملاذ الأحرار من أى مكان .

أعود وأنا مؤمن بمستقبل هذا الوطن ، وأعتقد أنه أكبر من أزماته ، وأقوى من

عثراته ، وأعظم من كل مايحيط به من مصاعب . هذا الوطن الذى تحدى الزمن وصمد للأيام ، ولم تستطع الأهوال والخطوب أن تجعله يحنى رأسه ، أو يركع على ركبتيه . . هذا الوطن الذى يستطيع بالوحدة والايمان ، وبالعمل والتضحية ، وبالصبر والصمود ، أن يتخطى كل العقبات ، وأن ينتصر على كل الأزمات .

إن إيمانى بمستقبل بلادى ليس تعصبا لها ، ولكن إحساسا بها ، وعلما بقدراتها ، وثقة بقوة شعبها وقيادتها .

اننى لا أغمض عينى وأحلم . . . وانما أفتح عينى وأنظر . .

فأرى الغد ، وأرى معه الرخاء ، فى مصر الحرية والأمن والامان والسلام .

أشكرك يارب !

سيصبح أحد العمال
رئيس وزارة فى مصر

١٦ فى المائة فقط من حملة الثانوية العامة فى انجلترا يدخلون الجامعات ، و٨٤ فى المائة يلتحقون عمالا بالمصانع أو موظفين فى المتاجر . .

وفى لندن معهد يدخله حامل الثانوية العامة ، وبعد ستة أشهر يخرج الشاب حدادا ممتازا أو كهربائيا ممتازا ، أو عامل بناء ، أو عاملا مدربا فى أحدث الصناعات الالكترونية !

ستة أشهر فقط تحول الشاب الذى لا خبرة له بالصناعة الى عامل مدرب كفء تتخاطفه المصانع والشركات !

وهذا المعهد لا يطلب من الشاب ان يدفع للطالب أجرا فى مدة التدريب !

وكل طالب فى بلادنا يريد أن يدخل الجامعة ، ويخرج من الجامعة ليشغل وظيفة لا تكفيه ليتغدى ولا يتعشى ، وليركب الاوتوبيس نصف الشهر ويمشى على قدميه فى النصف الثانى ، وينام مع عشرة اشخاص فى غرفة واحدة ! ولو ان السنوات التى أمضاها هذا الشاب فى الكلية أمضى ربعها فى مصنع يتعلم ويتدرب لاصبح دخله يمكنه ان يتغدى ويتعشى ويشترى موتوسيكل ليذهب الى عمله ويسكن شقة ينام فيها ، ويستطيع ان يتزوج وهو شاب ، ولا ينتظر حتى يبلغ الستين ويوفر المهر وخلو الرجل والشبكة .

نحن فى حاجة الى هذه المعاهد التى تعد العامل الفنى المدرب فى ستة أشهر فقط ، والشاب المصرى بشهادة خبراء عالميين يلتقط الصناعة بسرعة مذهلة ، ويفهم الآلة التى يعمل عليها فى وقت قليل اقل كثيرا من المدة التى يحتاجها العامل الانجليزى .

العالم اليوم فيه مجاعة للعمال المهرة ، وليس فى حاجة الى الموظفين الكتابيين ، ويجب ان نعرف ان المستقبل للعمال . ان مجلس الوزراء المصرى كان فيه وزير واحد من العمال ، واليوم اصبح للعمال وزيران فى الوزارة . . وبعد عشرة أعوام سيكون عدد العمال فى مجلس الوزراء عشرة عمال ! وربما يكون رئيس وزارة مصر من العمال !

•

أصبح العامل اليوم فى البروتوكول المصرى فى الدرجة الأولى !

لا تخجل يا ولدى ان تكون عاملا !

ربما يكون هذا هو طريقك الى رياسة الوزارة !

سنعود إلى بعضنا !

لا تيأس ! اخلع نظارتك السوداء . . هذه الغيوم فى سماء المنطقة سوف تنقشع . هذه الحملات سوف تتوقف . هذه الاتهامات سوف تنتهى !

فى يوم قريب سوف يعود الصفاء الى القلوب . ستختفى المرارة . سننسى الذكريات السيئةستعود ايامنا الجميلة من جديد . ايام كانت تجرح دمشق فتنزف القاهرة . . وتتألم الجزائر فتبكى المغرب . . أيام كنا نحب أنفسنا !

لا أصدق ان هذا الانقسام سوف يستمر . قدرنا ان نكون أمة واحدة ، وليس فى يد بشر ان يفرق ما جمعه الله !

دولة واحدة انقسمت . نصفها اعلن الحرب على النصف الآخر . حشدت كل واحدة منهما جيوشها وجندت شبابها وصوبت بنادقها على قلوب بعض ابنائها ! الولايات المتحدة نفسها قامت فيها حرب اهلية بين الشمال والجنوب وتمزقت الأمة الواحدة ، وتعادى ابناء الشعب الواحد . ثم انتهى كل هذا الصراع الدموى ، وتعانق الشقيقان ، وعاد الجنوب الى الشمال ، ونسى اعداء الماضى العداوة الدامية ، وعاد الحب والصفاء يرفرفان على كل شعب الولايات المتحدة .

والذين يقولون ان التضامن العربى لن تقوم له قائمة ، وان الشعب العربى تفتت ، لم يقرأوا التاريخ ، ولم يعرفوا ان الدول العربية خاضت معارك بالجملة وبالقطاعى ، وان الخلافات وصلت فى بعض الاحيان الى الحرب المسلحة ، ثم فى لحظات سكتت طبول البغضاء ، وارتفع شدو بلابل الحب ، ونسينا كل ما

بيننا من خلاف ، وحاربنا معاركنا جنبا الى جنب ، واذهل تضامننا العالم ، وقلب حساب خبراء السياسة العالمية ، وسخر من الكمبيوتر وتأكيدات العقول الالكترونية . .

انني فى هذه الايام المريرة لم افقد تفاؤلى بمستقبل الأمة العربية . ان لدينا كل اسباب القوة ، وفى يدنا كل اسلحة التقدم وقد أثبتت صفحات تاريخنا انه ما من نصر حققه الشعب العربى الا وهو متحد الكلمة ، وما من خذلان اصابه الا وهو منقسم يعادى بعضه بعضا . .

ممكن ان تختلف الحكومات ، ممكن ان تتشاجر الدول ، ولكن لا أتصور ان فى قدرة مواطن عربى ان يكره مواطنا عربيا . ان من الممكن ان اختلف مع اخى او مع ابنى ولكن من المستحيل ان اقطع رابطة الدم التى تجمعنا مهما كان فى يدى من خناجر وسكاكين !

اخلع نظارتك السوداء .

وسترى الفجر ان شاء الله !

جريمة ترتكب كل يوم

كان أحد الوزراء المصريين السابقين يتناول عشاءه فى ضاحية خارج باريس ثم عاد بالسيارة الى باريس بعد منتصف الليل ، ففوجىء برؤية أنوار ساطعة فى أحد الشوارع ، حولت الليل إلى نهار ساطع . وتصور الوزير المصرى أن الشارع يحتفل بعيد قومى ، ورأى مئات من الناس فى الشارع فتصور أنه موكب أو كرنفال . وأوقف سيارته وفوجىء بأن هؤلاء المئات من عمال الطرق جاءوا يصلحون الشارع فى الليل حتى إذا طلع النهار يكون قد عاد كل شيء إلى أصله ، فلا حفرة ولا مطب ولا زلطة ولا طوبة ولا أكوام من التراب !

وبعض الشوارع عندنا يستغرق إصلاحها سنوات ! نرى العمال يحفرون ثم يغيبون شهرا ويعودون ليردموا ما حفروه ، ثم يعودون بعد شهر ويحفرون من جديد ، ولا تعرف لماذا حفروا ولا لماذا ردموا ، ولكنهم دائما يعدلون عن رأيهم فى آخر الأمر ويتركون الشارع بأفواه مفتوحة وكأنها مذهولة من مصلحة تنظيم آخر الزمان !

وقد رأينا فى بعض البلاد النامية أدوات ميكانيكية جديدة للحفر والردم ، ويبدو أننا نصر على استعمال نفس الآلات التى استعملها قدماء المصريين ، ولانزال نفضل معاملة المتحف المصرى على معاملة أحدث مصانع الآلات فى العالم !

رأينا فى بعض البلاد النامية سيارة للحفرّ تسير خلفها سيارة للردم ، فلا يكاد ينتهى الحفر حتى يبدأ الردم . وفى مدينة لندن مثلا لا يصلحون شارع اكسفورد ستريت وهو من أهم الشوارع التجارية فى وسط المدينة إلا فى يوم الأحد ، وينتهون

منه فى نفس اليوم ، حتى لا يتعثر الزبائن أثناء دخولهم أو خروجهم من المحال التجارية التى تملأ الشارع !

وأشهد فى طريقى من بيتى إلى مكتبى عجبا . يجىء العمال ويحفرون فى شارع ثم يختفون بعد نصف ساعة ! لابد أنهم ذهبوا لتناول الافطار فى فندق هيلتون ! وهذا يستغرق ساعة ! ولكنهم لا يعودون إلا بعد ثلاث ساعات ، ثم يعملون خمس دقائق ثم ينصرفون . . لابد أنهم ذهبوا لتناول الغداء فى فندق شيراتون . وهذا يستغرق ساعة أيضا . ولكنهم لا يعودون مرة أخرى ، ولابد أنهم ذهبوا إلى السينما أو استأجروا قاربا فى النيل ! ولو أن مصلحة الاحصاء أحصت الساعات التى يعملها بعض عمال الشوارع عندنا لاكتشفت أنهم أغلى عمال فى العالم ! الحفرة التى يتم حفرها وردمها فى المانيا فى ساعة تستغرق فى بلادنا عدة أشهر . . ولا أظن أن تنابلة السلطان الذين كان يضرب بهم المثل فى الكسل استطاعوا أن يضربوا المثل الذى سجله بعض العمال المكلفين برصف الشوارع واصلاحها فى بلدنا . .

ولابد أن تتخصص احدى كليات الجامعة ، ككلية الهندسة مثلا لتدرس سر هذا التثاؤب الإصلاحى وهذه (التنبلة) الإنشائية ، وهذا الكسل الذى يجعل اصلاح الشارع فى بلادنا مهمة عويصة ومشكلة خطيرة وأزمة دولية لا حل لها !

ان ما يحدث فى شوارع مدننا جريمة ترتكب كل يوم ، والمؤلم أنها تقيد دائما ضد مجهول !

الحب مانعة الصواعق

عندما كتب على أمين يدعو إلى أن نحتفل بعيد الأم فوجئنا بحملة شعواء فى بعض الصحف . قالوا إن الفكرة سخيفة ولن تنجح . قالوا إنها فكرة وحشية لان الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم سيبكون فى هذا اليوم . نشرت احدى الصحف مقالاً طويلاً عريضاً أكدت فيه أن عيد الأم هو فكرة استعمارية امبريالية مقصود بها أن نصرف أذهان الشعب المصرى عن الهجوم المتوقع الذى ستقوم به تركيا ضد سوريا !

ومر ٢١ عاما على تلك الأيام ، ولم يحدث هذا الهجوم المؤكد بعد ! واحتفلنا بالعيد واحتضنه الملايين ، وقلنا أنه يسعدنا نحن الذين فقدنا أمهاتنا أن نبكى من أجلهن يوما واحدا كل عام !

وكل فكرة جديدة فى حاجة إلى أن تضرب على ظهرها لتندفع إلى الأمام . والفكرة الجديدة أشبه بالكرة المطاطة ، كلما ألقيتها على الأرض بعنف ارتفعت إلى أعلى . وكم أتمنى أن يحارب البعض فكرة عيد الحب لتزدهر وتنتشر ويعتنقها الناس فى كل مكان..

ممكن مثلا أن يقول البعض انها فكرة قليلة الأدب ! كأن الحقد والكراهية والبغضاء هى الأدب الجم عند بعض الأذهان ! الحب الذى ندعو للاحتفال به ليس الدنس ، وإنما هو حب طاهر دعت له الكتب المقدسة . هو قلوب مفتوحة ، ونفوس مليئة بالخير ، وعواطف نبيلة ، فبالحب نبنى وبالحقد نهدم . بالحب نسعد وبالكراهية نشقى . وبالحب نرتفع ونسمو ، وبالبغضاء نهبط إلى القاع . . .

نحن ندعو إلى أن يحب القادر منا المحتاج فينا . ويحب القوى فينا الضعيف منا . ويحب الغنى فينا الفقير منا . القلوب المحبة هى التى تمد أيديها للواقعين على الأرض ، والقلوب الجامدة هى التى تدوس على المسحوقين ، والقلوب المحبة ترق للمحتاج والقلوب القاسية لا أبواب لها ولا شبابيك !

إننا يجب أن نزرع الحب فى قلوب أطفالنا . أن نروى لهم قصص حب صنعت رجالا وخلقت أبطالا ، وكشفت عن عبقريات . . ما من رجل نجح فى الدنيا إلا ووراءه قصة حب عظيمة ، أما حب زوجته أو حب أمه ، أو حب امرأة كشفت عبقريته قبل أن يكشفها أى إنسان آخر !

ويجب أن نعلم أن مصر تحملت كل ما صادفها من أهوال بفضل حب أهلها لبعضهم البعض ، وتسامحهم ، وبعدهم عن التعصب ، وبرهم باخوانهم ، واهتمامهم بجيرانهم ، وتعاطفهم فى الأزمات وتضامنهم فى مواجهة الأحداث والخطوب .

الحب هو مانعة الصواعق فى هذا البلد . . ومن أجل هذا سنحتفل يوم السبت ٤ نوفمبر بعيد الحب .

أسكتوا كبار الموظفين
وأسمعوا صوت الفنانين !

اننا لن نسكت حتى تمنع صحف مصر وكتب مصر واغانى مصر وافلام مصر من الدخول الى بعض البلاد العربية ! فلنبدأ من الآن فى تقوية اذاعات مصر ، ليسمعها كل كوخ وقصر من المحيط إلى الخليج . وقد فعلنا ذلك فى الخمسينات عندما انشئت ١٢ محطة اذاعة تهاجمنا ، ولكن اذاعات مصر زأرت ، وحولت صراخها الى همسات !

لم نفعل هذا بالملايين ننفقها ، فقد كنا مفلسين ، ولكن فعلناه بالكفاءة المصرية وبالمواهب المصرية وبالايمان المصرى وبالادب المصرى والفنان المصرى .

لم يكن احد يسأل كم سأقبض ، وانما كان يقول اعطونى خمس دقائق لاتكلم ، لأغنى ، لأعزف ، لأمثل ، لأعرض فن بلادى !

لم يكن عدد موظفى الاذاعة واحدا من عشرة من موظفيها الحاليين !

ولم يكن مجموع مرتبات ومصروفات الاذاعة واحدا من عشرين من المصروفات الحالية .

وانما كانت مصر التى تتكلم . كل فن فيها . كل عبقرية بها . كل كفاءة من رجالها ونسائها .

لم تكن الاذاعة تجىء بنكرات وتسلمهم الميكروفون ! وانما كانت تجىء

بأحسن المذيعين واجمل الاصوات واقوى المحاضرين !

ان كل اذاعات البلاد العربية قائمة على شبان وشابات مصريين ، طفشوا من الاذاعة المصرية ، أو حيل بينهم وبين الابداع عندما تحولت الاذاعة الى ديوان من دواوين الحكومة ، فيها انظمة الروتين ، وفيها سلحفاة جالسة على كل مكتب لاتستطيع ان تبت فى قرار الا بعد استئذان مدير القسم الذى يستأذن مدير مدير القسم ، الذى يستأذن مدير مدير مدير القسم ! ان العبقرية لاتخلق بقرار وزارى !!

ان لدينا فى الاذاعة المصرية كفاءات ضخمة ، يجب ان نحررها من قيود الروتين ، ويجب ان نخلصها من القيود التى تقضى على المواهب وتدفن الكفاءات وتقضى على الابداع .

ان قانون الاذاعة الجديد يخلصها من كثير من القيود ، فلنطبقه فورا ، ولنجعلها مستقلة فعلا ، فالاذاعة لاتريد حكما ذاتيا فقط ، بل تريد استقلالا كاملا لاشك فيه . .

ضاعفوا قوة الاذاعة . لاتذيعوا السخافات . استعينوا بأقوى الكفاءات .

اشطبوا المحاسيب والاصدقاء . اعلموا ان اغنية واحدة لمطربة محبوبة اكثر اقناعا من محاضرة الف محاضر سخيف !

إننا نريد ان تكون الاذاعة المصرية هى صوت مصر ، بحلاوته ، برقته ، بخفة دمه ، بذكائه ، بايمانه ، بشجاعته ، بحريته ، بقوته . . .

هذا هو الصوت الذى سوف يسمعه العالم . . كل العالم !

اسكتوا كبار الموظفين وأسمعونا صوت الفنانين !

النائب الذي نريده

مصر لاتريد نائبا يعرف كيف يصفق . بل تريد نائبا يعرف كيف يفكر . لا تريد لسانا عصبيا بقدر ماتريد عقلا مستنيرا . لايهمها الصوت العالى بقدر ما يهمها الصوت المؤمن .

مصر لا تريد نائبا يتصدر المواكب ، بل تريد نائبا يتقدم الصفوف فى المعارك . لاتريده يحمل الى الوزراء مطالبه الخاصة بل تريده يحمل الى الحكومة مطالب الامة . لاتريده يسعى وراء تعيين الانصار والاقارب والمحاسيب ، بل تريده يجاهد فى تقديم الكفايات المغمورة والعبقريات المخبوءة .

مصر لاتريد عقليات قديمة ، بل تريد افكارا جديدة . تتمسك بالحضارة السياسية . وترفض الجاهلية السياسية . تريد نوابا مؤمنين ولاتريد نوابا متعصبين . ترفض النواب الذين يطالبون بمصادرة الكتب وتحطيم الاقلام ، وترحب بالنواب الذين يدعون الى فتح كل النوافذ وفتح كل الابواب .

مصر لاتريد اصفارا تقف الى يسار الرقم الصحيح ، وانما تريد عقولا بجانب ما لديها من عقول ، وعلماء اكثر مما لديها من علماء . تريد من يدفعونها الى سنة الفين ، لا من يجرونها الى الخلف ، او من يحاولون تثبيتها فى مكانها بغير حراك !

مصر تريد مصريين يعرفون قيمة مصر الحقيقية . وانها البلد الذى هزم الطغاة ودفن الغزاة . . والحضارة التى أنارت فى الظلام . . آلاف السنين . هى السد العالى الذى وقف امام هجمات التتار . هى الامة التى حفظت لغة الاسلام .

هى الازهر الذى حمى الدين . هى منارة الصحافة والثقافة والادب والمسرح والصناعة فى المنطقة كلها . هى الجيش الذى حارب وقاتل واستشهد وروى بدمه الصحراء . هى طليعة الكفاح الوطنى من اجل تحرير كل عربى .
مصر هى الدولة المسلمة الوحيدة التى جاء اسمها فى القرآن وفى كل الكتب المقدسة .

هى ملتقى الحضارات ، وهى معبر النور الى الشرق والغرب .

هى امة التسامح بين الاديان . هى شعب الحب والمروءة والتضحية والصداقة ونكران الذات .

هى بلد المحبة والغفران . تغضب ولاتكره . تقاتل ولا تنتقم . تمد يدها لكل الناس بالحب والمودة والتفاهم . ارضها تبتسم . سماؤها تبتسم . نيلها يبتسم . كل مافيها يبتسم . مآذنها بجوار اجراس كنائسها . فقراؤها يعيشون جنبا الى جنب مع اغنيائها . ليس فيها طبقات ـ انما فيها قلوب تنبض وافئدة ترحم وشفاه تردد اسم الله !

اذا عرفت ماهى مصر يابنى . . فتقدم لتكون نائبا عنها !

اخترنا العلم
لأننا اخترنا الحياة

نحن فى حاجة إلى كل يد لتبنى هذا البلد . يد واحدة لاتكفى لبناء بلد كبير . نحن الآن نحتاج إلى كل يد ، وكل فكر ، وكل علم ، وكل رأس وكل خبرة . من الممكن أن نبنى بلدنا بالعلماء ، ولكن من المستحيل أن نبنيها بالهواة .

ولايضير رئيس مؤسسة أن يقول « لا أعرف » ويستعين بأهل الخبرة من العلماء وأساتذة الجامعات وأكاديمية البحث العلمى وكل الأجهزة المتخصصة .

لايقلل هذا من قيمة رئيس مجلس ادارة الشركة ، بل انه يرفع من قيمته . فالفرق الوحيد بين الجاهل والعالم هو أن الجاهل يعتقد أنه يعرف كل شيء ، وأن العالم يعلم أنه لايعرف كل شيء ! الفرق أن الجاهل يشعر بالعار اذا استشار أهل الخبرة ، والعالم يحس بالفخر عندما يستعين بأعظم العقول وأكبر العلماء !

وليست وطنية أن نرفض الاستعانة بمن سبقنا فى العلم ، وانما الوطنية الحقيقية أن آخذ من كل بلد أحسن مالديه ، فالعلم لا وطن له ، وكلما ازددنا علما ازددنا قوة ، وازددنا رخاء .

كل المصائب تأتى نتيجة الجهل . نتيجة توهم البعض منا أنهم أعلم من على هذه الأرض ، لايحتاجون إلى مشورة ، ولاينقصهم علم ، يرفضون الشورى ، ويدوسون بأقدامهم على التجربة ، ويحتقرون التقدم الذى يتحقق فى البلاد الأخرى ، ويتوهمون أنهم إذا فتحوا كتابا فقدوا احترامهم بين مرؤوسيهم . . الكتاب الوحيد الذى يفتحونه هو دفتر التليفون !

إن من أعظم العلوم التى ظهرت فى عصر التكنولوجيا ، علم الخبرة ، وقد أنشئت مكاتب فى جميع أنحاء العالم تجمع أعظم المهندسين والعلماء والمحاسبين والاقتصاديين ، تقدم المشورة فى كل صناعة ، وهى تتقاضى عن هذا ملايين الدولارات ، ولكن هذه المشورة تساوى أحيانا ألوف الملايين . وقد استطاعت هذه المؤسسات انقاذ شركات عالمية من الافلاس وحولت خسائرها إلى أرباح . . وكساد تجارتها إلى رواج وانطلاق . .

ويحسن ونحن نستعين بهذه المؤسسات التى تبيع الخبرة ، أن نحترس من بعض هذه المكاتب التى يديرها نصابون ومحتالون عالميون ، ينتهزون غفلة الزبون ويبيعون له المصانع القديمة على أنها مصانع جديدة ، أو يقدمون له الجهل على أنه آخر ماوصلت إليه التكنولوجيا الحديثة ، ولهذا يحسن أن نستعين فى اختيار هذه المؤسسات بحكومات الدول نفسها حتى تكون مسئولة عنها ، وحتى لانشترى الترام من أنحاء العالم !!

والعلم الحديث وضع أروع الحلول لأخطر المشاكل . الصحراء أمكن زراعتها . الأرض الزراعية أمكن مضاعفة انتاجها عدة مرات . البحار أصبحت مصدرا للكنوز والثروات . الشمس أصبحت طاقة جديدة .

العلم طريق صعب يؤدى إلى حياة جديدة . .

والجهل طريق سهل يؤدى إلى قبور جديدة !

وقد اخترنا العلم لأننا اخترنا الحياة !

عندما يصبح المصريون أحرارا

كانت السيدة تقود سيارتها ، ومعها طفلاها الصغيران . وكان الوقت ليلا ، وتعطلت عجلتان من عجلات السيارة قبل كوبرى الجلاء مباشرة . وفزعت السيدة الصغيرة فهى تجهل تغيير عجل السيارات ، وأغلقت سيارتها ، وأخذت طفليها الصغيرين ، وهمت بالبحث عن سيارة أجرة !

وفى هذه الأثناء وقف سائق سيارة نصف نقل أمام السيارة المعطلة ، واندفع مهرولا يعرض خدماته رغم وجود أطفاله معه فى السيارة ، ورغم أن الجو كان ليلا باردا ، وبدأ إصلاح العجلة الأولى ، ولم تمض ثوان حتى جاء رجل آخر كان يسير على قدميه ، وبدأ فى تغيير العجلة الثانية . ثم وقفت سيارة بها سيدة ورجل ، وسألت السيدة لو أن صاحبة السيارة المعطلة تريد أية مساعدة ، وعرضت أن توصل الطفلين الصغيرين إلى المنزل .

وبعد أن انتهى الرجل السائر على قدميه من تركيب العجلة أسرع مبتعدا دون أن يترك لصاحبة السيارة فرصة شكره . واقتربت صاحبة السيارة من سائق السيارة نصف نقل وأرادت أن تعطى أطفاله مالا تعبيرا عن شكرها وامتنانها لأبيهم ورفض سائق السيارة فى إباء وأسرع مبتعدا بسيارته .

أحست السيدة المصرية التى غابت عن مصر سنوات طويلة أن النجدة المصرية والشهامة المصرية والمروءة المصرية تجلت فى هذا البلد من جديد . لقد كانت موجودة دائما ولكن الطغيان كان يغطيها بالتراب فيحسب الساذج أنها ذهبت ولن تعود .

فالطغيان يلد الخوف ، وعندما ينتشر الخوف تخاف كل الفضائل فتتوارى خجلا أو ذعرا . تظهر الفردية ويختفى التضامن . تبرز الأنانية وتتضاءل التضحية . تزداد الأثرة والأنانية . وتتضاءل روح البذل والعطاء . ويتصدر الانتهازيون المواكب ، ويختفى أصحاب المبادىء فى الجحور . ويصبح الشرف تهمة ، والوصولية وساما ، ويسمون الصداقة جنونا ، والغدر عقلا ، والجرأة حماقة ، والجبن حكمة ، ولايفكر كل انسان إلا فى مصلحته ، وفى نفسه ، يشهد الجريمة ويغمض عينيه حتى لايرى . ويسمع الضلال ويغلق أذنيه حتى لايسمع ، ويتلقى الضربات ويضع يديه وراء ظهره حتى لايتصدى ولايتحدى !

كل هذا التراب من عاصفة الاستبداد . فكما أن العاصفة ترفع التراب من الأرض ، إلا أنه عندما تنتهى العاصفة يسقط التراب على الأرض وتدوسه الأقدام من جديد ، ولايبقى إلا كل شيء جميل !

عندما يشعر المصرى بالامان يرتدى أحسن مالديه فى الشارع . . ولكن عندما يفقد الامان لايرتدى إلا الملابس الرثة الممزقة التى تتعرض للتراب والطين وقذارة الطريق !

وسوف يخرج كل مصرى بأحسن مالديه ، وبأحسن مافيه ، عندما يحس بالامان التام .

والامان التام هو الجلاء عن كل شبر من أرض الوطن . هو الحرية الكاملة ، هو الديمقراطية الكاملة ، هو العدالة الكاملة ، هو الرخاء الكامل ، هو نهاية كل ما ارتفع أثناء عاصفة الحرب من تراب وعفار !

وستكون مصر أجمل مما كانت فى أى يوم من الأيام .

لأننا سنرى المصريين أحرارا على حقيقتهم .

من حق الشعب أن يعلم

خسرت بعض شركات القطاع العام هذا العام ٣٦ مليون جنيه !

ومن حق الشعب ان يعلم لماذا خسرت هذه الشركات هذه المبالغ الطائلة فى وقت نحتاج فيه الى كل مليم لإعادة البناء !

فهذا الشعب هو صاحب هذه الشركات وهو الجمعية العمومية ، ومن حق الجمعية العمومية لكل شركة أن تعرف الخسائر والارباح !

ومن المضحك أنه عندما كانت الشركات يملكها الأفراد كان القانون يلزمها ان تنشر ميزانيتها كل عام .

وعندما أصبحت مملوكة للشعب اعتبرت الشركات نفسها سرا حربيا خطيرا لا يجوز ان يعرفه الأعداء .

أى الشعب مالك هذه الشركات !

وتحت ستار هذه السرية ارتكبت الاخطاء ، ولا اريد أن اقول الجرائم ، وتحولت شركات رابحة الى شركات خاسرة ، واضطرت شركات أخرى الى أن ترفع اثمان منتجاتها ليدفع الشعب المسكين ثمن فشل ادارتها من أهل الثقة !

نحن نريد أن تتألف لجنة برلمانية لتبحث اسباب خسارة كل شركة من هذه الشركات ؟ هل هى المسئولة ، أم هى مسئولية الجهلاء الذين تولوا الادارة قبل مجلس الادارة الحالى !

وهل هذه الشركات تتصرف كشركات خاسرة أم توفد مديريها فى رحلات الى الخارج تتكلف عشرات الألوف من الجنيهات !

وهل هى تنفق الأموال فى نشر اعلانات التهانى لكل وزير يتولى الحكم ، أم تقنع مثل الذى يمد ساقه على قدر لحافه !

وإذا شعرت كل شركة أنها سوف تنفضح امام الرأى العام يوم يعرف أنها تدفع المكافآت من عرقه ودمه ، سيتردد كل مدير مفلس أن يتصرف كأنه مليونير !

اننا فى حاجة الى قانون يلزم كل شركة من شركات القطاع العام والقطاع الخاص أن تنشر ميزانيتها على الشعب .

ان من حق الشعب أن يعلم !

عشت فى العصر الذهبى

فى بعض الأحيان اغبط نفسى لأننى عشت العصر الذهبى فى بلادى ولا اظن أن الأجيال التى جاءت قبلى وجاءت بعدى شهدت ما شهدت ورأت ما رأيت . . كان الله كريما معى فقد ولدت فى بيت الأمة ، وشهدت مولد سنة ١٩١٩ وسمعت سعد زغلول وهو يخطب والألوف تترنح فوق كراسيها وتصيح أعد ! والفلاحون يقسمون أنهم رأوا اشجار القطن مكتوبا على ورقها (سعد) ! وجلست الى أحمد شوقى وحافظ ابراهيم . وسمعت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ يغنون . وعرفت طلعت حرب وحضرته وهو يضع طوبة فوق طوبة فى صرح اقتصادنا القومى . وحضرت معارك الشعب من أجل الاستقلال والدستور : شهداء يسقطون ثم تنشق الأرض ويخرج شبان مناضلون يواجهون الرصاص هاتفين : الاستقلال التام أو الموت الزؤام ! شاهدت ساق حسين حجازى الذهبية وهو يدوخ لاعبى اوربا ويهز قدميه . رأيت عبد القادر حمزة وهو يكتب وكأنه يضع كل كلمة فى ميزان قبل ان يسطرها على الورق . ورأيت قلم التابعى وهو يتحول الى خنجر ثم الى مدفع رشاش ثم الى باقة زهور يضعها بحنان فوق قبر الفقيد . ورأيت فكرى أباظه وهو يسخر فيرفع خصمه الى السماء ثم يمسح به الأرض ، ثم يعلق وردة فى جيب جاكتته . ورأيت يوسف وهبى فوق المسرح فيهز جوانبه بصوت كالرعد حتى تحسب ان المسرح سوف يسقط فوق رأس المتفرجين ، ثم يرق صوته كالنسيم ، فإذا بكى بكيت معه ، وإذا فرح فرحت له . وإذا طعنوه بسكين اخرجت منديلك من جيبك لتجفف الدم الذى نزف من قلبك . وعشت مع نجيب الريحانى ، الفيلسوف الساخر ، الذى استطاع بضحكاته ان يقوض النظام الفاسد . والذى كانت نكاته تشبه احيانا المعاول واحيانا الديناميت . كان يوسف وهبى ونجيب الريحانى يشتغلان

بالسياسة ويستغفلان الرقابة واستطاعا ان يحولا المسرح الى مظاهرة يومية تهتف بسقوط المحتلين وسقوط المستغلين وسقوط المستسلمين .

وعملت مع صحفيين عظام امثال جبرائيل تقلا وانطون الجميل واميل زيدان ودكتور حافظ عفيفى ودكتور محمود عزمى واحمد حافظ عوض .

وجلست مع الدكتور سعيد عبده أشهد مولد المواويل السياسية التى كانت انشودة الشعب فى صراعه ضد الطغيان والاحتلال ، وعرفت الملك فؤاد وانا طالب فى المدرسة الثانوية وعرفت الملك فاروق وانا طالب بالجامعة وعرفت الرئيس محمد نجيب والرئيس جمال عبدالناصر والرئيس انور السادات والرئيس محمد حسنى مبارك . واتصلت بعباقرة مصر مثل الفيلسوف احمد لطفى السيد والمثال محمود مختار والعالم الدكتور على مصطفى مشرفة ، والاطباء على ابراهيم وعبدالله الكاتب وعبد العزيز اسماعيل ، وتتلمذت على الاستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة والدكتور زكى مبارك والأستاذ محمد صادق عنبر والدكتور صادق جوهر والأستاذ حامد محمود وصادقت بيرم التونسى وكامل الشناوى وحفنى محمود وعبدالعزيز البشرى وعلى محمود طه وغيرهم من امراء الظرف فى مصر .

وأحببت النحاس وخالفته ومن اجله فصلت اربع مرات من المدرسة وحرمت من دخول الامتحانات ودخلت السجن .

وعاديت محمد محمود فى شبابه عندما كان ديكتاتورا وبهرت به فى شيخوخته عندما أصبح زعيما ديمقراطيا يؤمن بحرية الصحافة . وحاربت اسماعيل صدقى فى أول حكمه عندما كان طاغية مستبدا وشعرت انه يصلح رئيس وزارة فى أكبر بلد فى العالم ، عندما عرفته فى نهاية عمره وعندما بدأ يؤمن بحكم الشعب وبضرورة الدستور .

الحياة بجوار أى واحد من هؤلاء حياة عريضة ودنيا من المجد . . ما أمتع أن تعيش بجوار العباقرة والعمالقة لحظات جميلة من العمر !

ليست هذه هى الحرية

إننى أؤمن بالحرية ، وليست الحرية أن نسمح بتبادل الشتائم والكلمات البذيئة فى الشوارع ، فهذه ليست حرية ، بل هى قلة أدب !

وأحيانا أتصور أن قلة الأدب هذه نتيجة الطغيان ، فقد منع الحكام الناس أن ينتقدوا الحكام ، وأباحوا للناس أن يشتم بعضهم بعضا ، فكأنهم سلبوهم حرية الرأى ليمنحوهم حرية شتم بعضهم بعضا !

وليست الحرية أن أفتح الراديو أو التليفزيون فى بيتى لأقلق منام جارى ، ولأزعج المرضى ، ولأشوش على الذين يذاكرون دروسهم . فهذه ليست حرية بل هى عدوان على الحرية ، وفى بلاد الحرية يسجنون مثل هذا المزعج ويفرضون عليه غرامة تقصم ظهره !

وليست الحرية أن أعاكس البنات والنساء فى الشوارع ، فالذى يغازل امرأة فى الشارع لايجاملها ، وانما هو يحتقرها ويزدريها ويعتدى على حريتها فى السير فى الطريق العام . وفى الماضى كان الناس يخاف بعضهم على بعض وكان الرجل يعتبر الاعتداء على امرأة غريبة هو اعتداء عليه وعلى بيته وعلى عرضه . ويجب أن نستعيد من جديد شعورنا القديم الأصيل بأن اهانة أى سيدة أو فتاة فى الشارع هى اهانة لأمى ولابنتى ولزوجتى ولأختى .

وليست الحرية أن نهدم القيم ونحطم مبادىء الأخلاق . فلاشىء يحطمها سوى الاستبداد ، فالحرية تحتاج إلى قيم تتمسك بها وإلى أخلاق تحميها . والحرية لاتسوى بين الناجح والفاشل ، ولابين العامل والخامل ، ولابين العقل

المجدد المبتكر والعقل الجامد الكسول ! كل انسان فى عصر الحرية بعمله وانتاجه وخلقه وجهده .

وليست الحرية أن تشخط بعض البائعات فى زبائن محال القطاع العام وكأنهم جاءوا يستجدون لاجاءوا يشترون ! حتى أن سيدة محترمة قالت لبائعة فى الأسبوع الماضى « وماله يابنتى ؟ مش أحسن تقلعى الجزمة وتضربينى » ! وكان المدير جالسا فى مكتبه يسمع هذه الوقاحة دون أن يفتح فمه !

وليست الحرية أن ألقى الزبالة أمام بيتى - بل الحرية توجب على - أن أشارك فى تنظيف شارعى لا أن أنتظر حتى تجىء البلدية ! ولقد مررت من يومين فى شوارع وسط البلد فلم أجد مترا واحدا على الرصيف يصلح للسير على الأقدام ، ولو أن كل محل تجارى رصف الرصيف الذى أمامه على حسابه لما كان السير فى الشوارع أصبح رحلة عذاب وهلاك ومغامرة توصل دائما الى عيادة طبيب العظام ! . .

الحرية جميلة جدا ! ولكن نحن الذين نمنحها كل مانريد من جمال !

قسموا القاهرة إلى ٣ محافظات

إلى سنوات قليلة كان عدد سكان مصر كلها ١٤ مليونا ، يحكمهم مجلس وزراء و ٥ محافظين يحكمون ٥ محافظات ، و ١٤ مديرا يحكمون ١٤ مديرية . .

والآن يبلغ عدد سكان القاهرة وحدها حوالى ١٢ مليونا يحكمهم محافظ واحد .

ومع إعجابى بكفاءة اللواء سعد مأمون محافظ القاهرة ، ومع معرفتى بامتيازه الكبير فى ادارة حرب أكتوبر ، إلا أننى أعتقد أنه من الصعب على رجل واحد ادارة عاصمة فيها هذا العدد الضخم من السكان ومن الوزارات ومن المصانع ومن التليفونات والاتوبيسات ومواسير المجارى ومواسير المياه والمطبات وأكوام القمامة !

ومن رأيى أن تقسم القاهرة إلى ثلاث محافظات : محافظة القاهرة ، ومحافظة حلوان وتضم حلوان والمعادى وطرة وماحولها ، ومحافظة هليوبوليس وتضم مصر الجديدة والزيتون والمطرية ، وأن يعين محافظ لكل محافظة بحيث لايزيد عدد سكانها على أربعة ملايين وتكون كل واحدة منها وحدة مستقلة لها ادارتها وبلديتها ومصلحة تنظيمها ومجلس محافظتها ، وجامعاتها ومدارسها وبنوكها ومحلاتها التجارية ودور السينما والمسارح الخاصة بها . وكلما جعلنا فى كل محافظة من هذه المحافظات ماتحتاجه من مرافق خاصة بها ، خففنا العبء عن العاصمة الحالية التى تكاد تختنق بمن فيها .

كان بعض كبار الأجانب يزوروننى منذ أيام ، وقالوا لى انهم لايفكرون فى أن يؤسسوا مكاتب شركاتهم فى وسط البلد ، وانما يتجهون إلى إنشاء هذه المكاتب فى مصر الجديدة . وهم يرون أنه من المستحيل الآن أن ينتقل رجل الأعمال فى شوارع القاهرة الحالية ، ويضيع حوالى الساعة ليصل من فندق هيلتون إلى وسط البلد ، وهذا فهم سيبدأون فى مصر الجديدة ، فإذا أرادوا الاتصال بأى شركة أخرى فى وسط البلد استعملوا التلكس .

والمهم الآن أن نركز الاصلاح على التلكس والتليفون ، لأننا بهذه الطريقة وحدها سنخفف الضغط عن مدينة القاهرة ، وسنجعل من الممكن لرجل الأعمال فى القاهرة أن يدير أعماله فى نيويورك وطوكيو ولندن وباريس فى دقيقة واحدة .

فإذا لم نستطع أن نصلح التليفونات بسرعة فلنوفر التلكس .

اسكندرية زمان

عرفت الاسكندرية فى العشرينات . . كان كازينو سان استفانو ملتقى الوزراء والكبراء . . وكانت فرق الموسيقى العالمية تجىء اليه من انحاء العالم لتعزف لرواده . . وكان مليئا بفتيات أجنبيات رائعات الجمال من أهالى الاسكندرية يرقصن التانجو والفالس على أنغام الموسيقى الهادئة . .

وكانت المتعة الوحيدة للناس فى تلك الايام أن يمشوا ذهابا وايابا فى ردهة الفندق التى تصل الى البحر . . وكم حدثت زيجات وقصص حب ومغامرات وانتحارات نتيجة هذه الطوابير من النساء والرجال التى تمشى فى الردهة تتبادل النظرات ولا تستطيع تبادل الكلمات . .

وعندما كان يقول أمير الشعراء شوقى . .

نظرة فابتسامة فسلام — فكلام فموعد فلقاء

كان الشبان يذهلون فلم يعرفوا فى تلك الايام شيئا اسمه الموعد او اللقاء . . كان الحب فى تلك الايام نظرة وابتسامة . . وكان البعض ينظر الى النظرة كأنها عمل فاضح فى الطريق العام .

وكان مكان « قصر الصفا » كازينو زيزينيا يملكه مصرى اسمه صادق أبو هيف . . استطاع أن ينافس به الخواجات أصحاب كازينو سان استيفانو . . وكان فى الكازينو مسرح كبير تمثل فيه فرقة عكاشة ، ثم فرقة يوسف وهبى ، ثم فرقة منيرة المهدية . . وبجوار المسرح حديقة ملاهى فيها كل الالعاب التى تستهوى الاطفال . .

وكانت تقام فى هذا المسرح حفلات مثيرة . . منها ان ساحرا جاء وطلب ان يدفنوه فى نعش تحت الارض لمدة ١٢ ساعة ويهيلوا عليه التراب . وخرج الرجل من النعش المغلق بعد ١٢ ساعة وهو على قيد الحياة . . ورأينا فيه المنوم المغناطيسى الدكتور سالمون الذى كان يقرأ الغيب للوزراء . . ويقول لهم متى تستقيل الوزارة .

ولم يكن مسموحا أن تستحم السيدات مع الرجال فى بلاج واحد . . وكان امام فندق سان استفانو حمام للرجال وعلى بعد ٢٠٠ متر منه حمام للسيدات . . وعندما أصدرنا مجلة « اخر ساعة » خطر ببالى أن أكلف الانسة أمينة السعيد الطالبة بكلية الاداب وأول مخبرة صحفية ان تدخل الى حمام السيدات وتجىء لنا بما تقوله زوجة اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء . . وزوجات الوزراء اللاتى يجتمعن كل صباح فى الحمام . . وقامت أمينة السعيد بمهمتها الصحفية خير قيام . . وحصلت على أحاديث زوجات الوزراء فى الحمام ، وما كادت تصدر مجلة اخر ساعة حتى قامت الدنيا وقعدت . . وأثير الموضوع فى مجلس الوزراء واقترح بعض الوزراء تعطيل المجلة . . وكان القانون يلزم ان يكون ذلك بقرار من المحكمة . . وبحث النائب العام الجريمة المروعة فلم يجد فى قانون العقوبات يومها مادة تجيز تعطيل مجلة لانها نشرت احاديث زوجات الوزراء من حمام السيدات . .

واذكر انى فى الثلاثينات كنت محررا فى مجلة روزاليوسف تعطينى جنيها كل اسبوع لاسافر الى الاسكندرية وابقى ثلاثة أيام فى فندق سان استفانو واحصل على اخبار الوزراء الذين يقضون الصيف فى بولكلى . . واكتب صفحتين عن أخبار شاطىء اسكندرية والسباق والاندية . . كل ذلك بجنيه واحد لا غير . .

وعندما كنت أعود من الاسكندرية كان المرحوم ابراهيم خليل رئيس حسابات مجلة روزاليوسف يسألنى فاضل معاك كام ؟!!

زائر من ألمانيا

وصل « محمد فهمى مراسل اخبار اليوم » من آلمانيا الغربية فوجد تليفونه فى القاهرة معطلا . وسأل عن السبب فعلم انه تأخر اسبوعا فى دفع الاشتراك . .

ذهب فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى الى السنترال ليدفع ٨٢ جنيها غرامة على التأخير . لم يجد موظف الخزينة . قيل له انه يحضر عادة فى الساعة العاشرة صباحا شأن كبار الموظفين !

ذهب الى الخزينة الساعة الثانية عشرة ظهرا فقيل له ان الخزينة تغلق ابوابها فى الساعة الثانية عشرة ظهرا وأسف لان موظفى التليفونات لا يدفعون غرامة تأخير !

وفى اليوم التالى ذهب الى خزينة السنترال فى الساعة الحادية عشرة وبقى ينتظر الى الساعة الثانية عشرة وقيل له ان موظف الخزينة ذهب لتوريد النقود الى الخزينة العامة ولن يعود !

ودهش المراسل القادم من المانيا من غرابة المكان ! مكتب السنترال لم ير مقشة منذ بضع سنوات ! لم تمر خرقة على مكتب تنظفه من التراب . الموظفات على عيونهن نظارات سوداء سميكة . ينظرن شذرا الى العملاء . لا يكلمن أحدا ولا ترد الواحدة منهن على أى سؤال !

ومشى فى شوارع القاهرة . وخيل اليه أن أغلب قادة السيارات يجهلون قيادة السيارة ولا يحملون تراخيص القيادة . كل سيارة تمشى على كيفها وتقف على

مزاجها. وتذكر أن المانيا الغربية تجمع ١٤ مليار مخالفة سنويا للسيارات ، أى حوالى ٤ بليون جنيه ! ولو أن المرور المصرى فرض غرامة على كل سيارة تخالف النظام لحصل على مليون جنيه فى اليوم ولأستطعنا ان نبنى مساكن بغير قروض ! وفى المانيا الغربية يفتشون كل سيارة ليتأكدوا أن فيها صندوق اسعاف حتى اذا وقع حادث لأحد المارة أو الركاب كان فى الصندوق ما يلزم من الاربطة والأدوية لاسعاف المريض .

وعندما تزيد عدد مخالفات الراكب تستدعيه ادارة المرور وترغمه على ان يدخل مدرسة تعليم قيادة السيارات ليدرس من جديد كيف يقود سيارته ، فاذا سقط فى الامتحان منع من قيادة أى سيارة !

وفى كل سنة تكشف ادارة المرور على كل سيارة خلا تسمح لأى سيارة غير صالحة بالعمل . ولو طبقنا هذه القاعدة لمنعنا خروج سيارات كثيرة الى الشوارع وانقذنا حياة الوف من المواطنين من سيارات تمشى بلا فرامل أو من أوتوبيسات تتوقف فى منتصف الطريق .

واذا حدث ورميت ورقة من سيارتك ، أو ألقيت علبة سجائر من سيارتك !

فلا تذهب لآخر الدنيا لتدفع غرامة المرور . انك تدفعها فى مكتب البريد المجاور لبيتك . وأغلب المخالفات تصور بجهاز سينما ، تستطيع ان تدعى انك كنت تمشى على اليمين بينما الفيلم يسجل انك كنت تسير ناحية الشمال !

قال لى المراسل انه اشترى فى المانيا سيارة منذ خمس سنوات ولم يستعمل الكلاكسون مرة واحدة طوال الخمس سنوات !

وأعرف قادة سيارات يدقون « الكلاكسون » كل خمس دقائق !

العزف على القانون

امضيت امس ساعة من امتع ساعات العمر

لقد عرفت مصطفى مرعى منذ ٤٠ سنة . عرفته ثائرا ومحاميا ومستشارا ووزيرا وعضوا فى البرلمان يهز المقاعد من تحت الوزراء . . عرفته مطاردا منفيا يمضى سنوات النفى يتغنى بمصر ويحب المصريين !

سمعته يعزف على القانون طوال ٤٠ سنة ! فحديث هذا المحامى العظيم عن القانون هو فى اذنى موسيقى خالدة وهو أحلى عزف سمعته فى حياتى عن القانون !

ما أروع ان يعشق انسان القانون ويؤمن به ويحارب من أجله .

لقد عشنا سنوات سابقة من عمرنا ، والقانون فى اجازة . وعندما ذهب القانون ذهب معه الأمن والامان وذهبت معه الحرية والكرامة ، وذهبت معه كل مبادىء الاخلاق . وعندما نتمسك اليوم بالقانون نتمسك بحقنا فى حياة حرة كريمة . من حق كل واحد منا ان يرفع رأسه فلا يحنيها الا لله . وألا يخاف أحدا الا الله . وان يقول ما يعتقد ، ويعبر عن رايه ، وهو يعلم ان هذا الرأى لن يكلفه حياته فيعلق فى مشنقة : ولن يكلفه حريته فيودع فى زنزانة ، ولن يكلفه عمله فيموت جوعا او يتشرد فى الطرقات

فالقانون هو الذى يحمى الضعفاء من الاقوياء ، وهو الذى ينتزع للمطحون حقه من القوى الجبار ، وهو الذى يساوى بين الناس ، وهو درع المقهور ، وأمل

المظلوم ، والقشة التى يتعلق بها اليائس من الحياة !

وعندما كنت اسمع هذا المحامى الكبير يتحدث عن القانون أحس اننى اسمع اغنية خالدة . احب ان استعيدها . واتمنى ان اجد أصواتا كثيرة ترتفع تدافع عن قدسية القانون وتطالب باحترام القانون .

عرفت مصطفى مرعى وهو يخطب وكأنه يغنى . وهو يتكلم وكأنه يعزف على العود . وهو يناقش وكأنه يقود أوركسترا تعزف على سيمفونية خالدة . عرفته وهو يضحك فيملأ الدنيا مرحا ، وعرفته وهو يغضب فكأنه الزلزال . وعرفته وهو يستقيل من الوزارة ، ويلقى استقالته فى وجه رئيس الوزراء وكأنه فدائى يلقى قنبلة على رئيس الوزراء . وعرفته عضوا فى المجمع اللغوى يختار الكلمات الرشيقة لتعبر عن المعانى العريضة !

وأمس التقيت بمصطفى مرعى وسمعت عزفا على القانون ومن سوء حظ هذا الجيل انه لم يعرف هذا العدد من العمالقة . ومن سوء حظه ايضا ان مرافعات كبار المحامين فى بلادنا لم تسجل فوق كاسيت ليتوارثها جيل بعد جيل ، ويسمعها الناس كما يسمعون أروع الاغانى وقطع الموسيقى !

وكلما جلست مع مصطفى مرعى آسفت ان ليس معى جهاز تسجيل !

فما أروع ان يسمع الانسان عزفا على القانون !

حقوق الانسان

احتفل العالم أمس بالذكرى الحادية والثلاثين للاعلان العالمى لحقوق الإنسان . حقه فى أن يبدى رأيه وأن يفكر وأن ينتخب حكامه ، وان يختار عقيدته ، وأن يختار عمله وأن يسافر الى أى مكان يشاء . حقه فى محاكمة عادلة يتولاها قضاة عدول . محاكمة علنية لا محاكمة سرية تجرى فى الخفاء .

حقه فى أن يعيش فى آمان . . فلا تنتهك حرمة بيته ، ولا يراقب تليفونه ولا تفتح مراسلاته ، ولا يقبض عليه بغير أمر قضائى ولا يوضع معتقل .

وهذه المبادىء كافح من أجلها الانسان سنوات طويلة . استشهد من أجلها شهداء . وتعذب فى سبيلها احرار . وتشرد مناضلون ، ونفى رواد . ولم تتوقف البشرية يوما واحدا عن الدعوة لها والمطالبة بها والدفاع عنها .

وفى التقرير السنوى لمنظمة العفو الدولية وجدنا رقما رهيبا مخيفا، وهو ان ٩٦ دولة من دول العالم فى أوربا والشرق الاوسط وافريقيا وامريكا اللاتينية وآسيا انتهكت حقوق الانسان فى هذا العام !

معنى هذا أن أغلبية دول العالم تدوس بقدمها على حقوق الانسان ، وتنتهك حريته وتعبث بمقدساته ، وتحرم المواطن حقه فى الحرية ، وهو الحق الذى نصت عليه كل الشرائع والاديان !

ان لجنة حقوق الانسان تعترف فى تقريرها انه فى هذا العام بدأت حقوق الانسان تدخل بلادا كانت ممنوعة من دخولها ! وان آلافا من المعارضين

السياسيين خرجوا من السجون والمعتقلات بعد ان مكثوا سنوات مسجونين فى الاغلال بلا ذنب ولا جريرة ، سوى انهم عبروا عن رأيهم . ولكن دولا اخرى ضاعفت عدد احكام الاعدام فشنقت أو قتلت رجالا لا ذنب لهم الا انهم قالوا « لا » . ولم يروا وجه القضاء العادى ، ولم يطبق عليهم القانون العادى ، بل كانت تصدر الاحكام من جلادين متنكرين فى أثواب القضاة !

وسجل التقرير ان آلاف المسجونين تعرضوا للتعذيب فى عهد الشاه ، وانه عندما خرج لم تدخل حقوق الانسان ، بل زج بالالوف فى السجون ، وأعدم المئات فى محاكمات صورية .

وذكر التقرير المثير أن عيدى امين قتل ثلاثمائة ألف شخص من المعارضين لحكمه وأن فى فيتنام اليوم خمسين ألف معتقل سياسى !

ان كل ما يشكو منه العالم اليوم من أزمات ومحن وخلافات هو نتيجة لغياب حقوق الانسان . .

انها اللعنة التى أصابت الجنس البشرى . .

وواجب دول العالم كلها ان تتحد لتحمى حقوق الانسان فى كل مكان وبهذا وحده تحمى سلام العالم !

صحافة القارىء الواحد

بعد تأميم الصحافة أصبحت مملوكة للاتحاد القومى ، وبعد إلغاء الاتحاد القومى اصبحت مملوكة للاتحاد الاشتراكى . والآن من يملك الصحافة بعد الغاء الاتحاد الاشتراكى . هل يملكها مجلس شورى العائلة المصرية الذى سيحل محل اللجنة المركزية ؟ أم يملكها مجلس الصحافة ؟ وهل يكون مجلس الصحافة بالتعيين أم بالانتخاب ؟

الصحافة الحرة هى أساس الديمقراطية ، وبغير حرية الصحافة تصبح الديمقراطية حبرا على ورق . والصحف الحرة تختلف تمام الاختلاف عن الصحف المقيدة . ففى عصر الطغيان تصدر « صحف لا تهتم الا بقارىء واحد هو الحاكم ، تكتب ما يرضيه . . وتحذف ما يغضبه . مهمتها ان تسعد الحاكم صباح كل يوم بالانباء الطيبة التى تسعده ، وتخفى الانباء السيئة التى تعذبه وتشقيه . وهذه الصحف لا تضلل الشعب وحده ، بل كثيرا ما تضلل الحاكم . فيصدق ما تنشره من أكاذيب ، ويقتنع بما تؤكده من زيف وضلال . أما الصحف التى تصدر فى عهد الديمقراطية فمهمتها ان تقول للشعب كل الحقيقة ، وان تقول للحاكم كل الحقيقة . وهى المصابيح التى تضىء فى الظلام ، وهى النوافذ التى يطل منها الشعب على الدنيا ، وتطل منها الدنيا على الشعب . وهى لسان الأمة الذى يتكلم ، وعيونها التى ترى ، وآذانها التى تسمع ، وعقلها الذى يفكر . مهمتها ان تقول للحاكم ما يريد ان يقوله الشعب ، لا ما يريد ان يسمعه الحاكم . وهى ضمير الامة الذى لا ينام ، وقلبها الذى يخفق باستمرار ، وهى حارسها اذا غفل الحراس ، وهى مؤذنها الذى يدعوها للصلاة . .

ولقد جربنا فى الماضى قيود الصحافة فهزمتنا الاغلال وسحقنا الظلام ، وحدث انفصال شبكى بين الشعب وصحافته فاصبح لا يصدق ما يقرأ ويكذب ما يسمع ، وفقد الثقة بالمسئولين فيه . وبعد ان كان الشعب هو الذى يرفع كتابه ويسقطهم ، اصبح الحكام يعينون الصحفيين ويعزلون الصحفيين ، ويكافئون الكتاب ويعاقبون الكتاب ، وبعد ان كانت اعمدة الصحف مليئة بالرأى والنقد والفكر ، اصبحت ترى كل عمود فى جريدة وكأنه جندى شرطة « يأخذ تعظيم سلام » لكل وزير ولكل محافظ ولكل سكرتير وبعد ان كان للجريدة مندوب عند كل وزير ، يحمل له أخبارها وأسرارها ، ويطالب بحذف ما يضايق الوزير وبنشر ما يسعد الوزير ، ولم تعد الجريدة تعرف ما يجرى عند الوزير !

ان مهمتنا ونحن نناقش الديمقراطية ، ان نبحث ما يجب ان نفعله لنجعل الصحافة لسان الشعب لا لسان حكامه ، ولا شىء اعاد الحياة الى صحفنا التى ماتت سنوات طويلة الا عندما صدر قرار بالغاء الرقابة على الصحف . عندما بدأت الصحف تهتم بمشاكل الامة ومتاعب الناس وأزماتهم . . وعندئذ تضاعف توزيع الصحف ، وبدأت الكلمة تسترد ما فقدته من عزة وكرامة واحترام !

الصحف الحرة هى عنوان احترام الشعوب .

دولة الخوف

اهم ما كسبه الشعب انه انهى دولة الخوف !

ولن ننسى ابدا كيف كانت الحياة في دولة الخوف . القلوب واجفة ، والنفوس قلقة ، والكلمات مرتعشة والعيون زائغة ، والأصوات هامسة والآراء محبوسة ، والأفكار مخنوقة والثقة منعدمة .

اجمل ما فى الدنيا هو ان تحلم وفى دولة الخوف كان الحلم يتحول الى كابوس . وعندما ترقد فى فراشك تفزع من كل طرقة على الباب ، أو حركة على النافذة ، أو دقة تليفون انت لا تنتظر الخير ابدا ، كأن الخير حددت اقامته أو وضع فى زنزانة . والشر وحده هو المطلق السراح . فى كل لحظة تتوقع ان تنقض عليك يد تنتزعك من زوجك واولادك . لا تعرف الى اين تذهب ولا تعرف متى تعود . لا يكفى ان تعلم انك برىء فدولة الخوف لا تتهم الا الابرياء ، ولا تطمئن الا الى المجرمين .

وكان يخيل اليك فى دولة الخوف ان كل شىء فيها خائف . الأشجار ترتعش ، الجدران تتصنت السقوف تصور صورا فوتوغرافية . الأرض مجهزة بميكرفونات تلتقط الاصوات وتسجل الاحاديث . التليفونات مراقبة ، الخطابات مفتوحة . البرقيات تصل متأخرة حتى يطلع عليها الرقيب .

كل واحد منا له ظل ، وفى دولة الخوف ، كانت تكثر الظلال التى تتبع خطواتك ، والاشباح التى تظهر لك . والعيون التى تطل عليك ، والاجهزة التى تتلصص من حولك تحس انك لا تستطيع ان تكون وحدك أبدا . معك دائما من

يراقبك ومن يشاركك فى اسرارك ، ومن يقاسمك حياتك . وهو لا يحرسك وانما يسرقك . يسرق خصوصياتك ويسرق اخبارك ويسرق احاديثك . مهمته ان يفضح ما تكتمه ، وان يظهر ما تخفيه ، يجمع ادلة اتهامك واذا فشل لفق مستندات اجرامك . وفى دولة الخوف تتضاعف قوة الاشياء . طرقة الباب تدوى كأنها قنبلة . همسة المظلوم تخلع القلوب كأنها قنبلة . ففى الليل تطول قامة الاقزام فى عيون الخائفين فيبدون وكأنهم عمالقة . ويتحول صوت نسيم الريح الى زنير اعصار . .

والخوف كالميكروبات يتوالد فى الظلام . . وعندما تشرق الشمس تبتسم الدنيا ، يضحك العابسون ويطمئن الخائفون يتكلم الصامتون تغنى البلابل وينتهى نعيب البوم . ويبعث الموتى من القبور . . وتختفى المشانق وترتفع الاعلام ، ويعود للدنيا جمالها وللحياة حلاوتها . . فقد جاءت الحرية وجاء معها النور والامان والاطمئنان !

ولن تعود دولة الخوف ابدا .

الحياة مع بخيل لا تطاق

تقدمت الزوجة الجميلة ، التى تبلغ من العمر ٣٢ عاما ، الى محكمة المانيا الغربية تطلب الطلاق من زوجها التاجر الغنى . . .

واستدعت المحكمة الزوج لسماع اقواله ، فأكد انه يعامل زوجته أحسن معاملة ، ويضعها فوق رأسه ، ويحبها ويحترمها ، ويبدى اعجابه بجمالها خمس مرات كل يوم ، فى الصباح والظهر والعصر والمساء وعند الفجر !

وقالت الزوجة ان زوجها التاجر الثرى بخيل جدا ، لا يسمح لها رغم ثروته الكبيرة أن تشترى أكثر من فستان واحد وحذاء واحد طول العام !

وحدث فى عيد ميلادها أن ذهبت واشترت « تورتة » من محل حلوانى دفعت فيها أربعة جنيهات ، وثار الزوج ، وأصر على أن تعيد « التورتة » الى محل الحلوانى ، وقال لها اصنعى أنت « التورتة » بيدك كما تفعل باقى الزوجات !

وقالت ان الزوج يعاملها بقسوة ، وعندما كانت تطهو له طعاما لا يعجبه ، كان يجلس على المائدة ويضع مشبك غسيل فوق أنفه ، لأن رائحة طعامها كريهة .

وقالت إن الزوج كان وقحا ، حدث مرة أنه كان يتشاجر معها ويسبها ، فقالت له سأخذ الكلب معى وأرمى نفسى من الشباك !

وإذا به يقول لها : لم لا ترم نفسك من الشباك . . أما الكلب فاتركيه لى !

وقال القاضى ان كل زوج حر ان يضع أصابعه على انفه إذا لم يعجبه الطعام الذى طهته زوجته ، فإن أمهاتنا ولدتنا أحرارا نستطيب ما نشاء من طعام ونقرف مما لا نحب من طعام !

وقال القاضى أيضا ان من حق الزوج أن يترك زوجته ترمى نفسها من النافذة ، فإن حق الإنتقال من الدنيا الى الآخرة هو حق دستورى لاشك فيه ، تماما كحقها فى أن تنتقل من المانيا الى انجلترا ! ومن حق الزوج أن يطلب الاحتفاظ بالكلب . . ولا يعتبر هذا اهانة للزوجة ، وانما هو رفق بالحيوان !

أما السبب الذى يبرر الطلاق فهو بخل الزوج الثرى . ليس مطلوبا من الزوج الفقير أن يشترى أكثر من فستان واحد لزوجته فى العام ، وليس من حق الزوجة أن تخرب ميزانية زوجها لشراء فساتين جديدة ، ولكن الحياة مع رجل غنى وبخيل فى الوقت نفسه هى جحيم لا يطاق ! وانه من الممكن ان تعيش الزوجة مع سكير أو مع مقامر أو مع زير النساء ! . . ولكن من المستحيل ان تعيش مع زوج بخيل . . ولهذا أمر القاضى بالطلاق !

واعرف ان هذا حكم سوف تعترض عليه كل الزوجات فى العالم !

العنوان الخطأ !

قال لى الشاب : أنا فشلت قلت له : مبروك . . . هذا أول درجة فى سلم النجاح !

لم أعرف فى حياتى ناجحاً دخل الحياة من الباب السلطانى ، إلا وخرج منها من باب الخدم ! الذين يبدأون من قمة الاهرام ينتهون فى السفح . ولكى تثبت فوق القمة يجب ان تتعلم مشقة الصعود ، وتتحمل عذابه ، وتعرق وتجرح يدك وتصبر وتكافح . . .

أعرف ناجحين كثيرين ذاقوا مرارة الفشل مائة مرة قبل أن يعرفوا طعم النجاح . والفرق الوحيد بين الفاشل والناجح ان الفاشل فشل وتوقف ، بينما أن الناجح هو فاشل حاول من جديد حتى حقق النجاح !

وكثيرا ما نذهب فى حياتنا الى العنوان الخطأ ! تماما كالخطاب الذى يسلمه ساعى البريد لغير صاحبه ! المهم أن نعرف أننا فى العنوان الخطأ ، ونبدأ نبحث عن العنوان الجديد . .

ممكن أن أجد نفسى فى عمل لا أصلح له . فلأحاول أن أصلح له ، فإذا فشلت ، أترك هذا العمل ، وأبحث عن عمل آخر اصلح له . وقد افشل عدة مرات حتى أجد نفسى فى العنوان الصحيح !

اعرف فتاة أمريكية تخرجت فى الجامعة ، وبحثت عن عمل فلم تجد ، فعملت سائقة سيارة ففشلت ، واشتغلت بائعة فى محل تجارى فطردها صاحب المحل بعد أسبوع ، واشتغلت سكرتيرة وفشلت ، واشتغلت بلياتشو فى سيرك ،

ولكنها عجزت أن تضحك الأطفال الذين يحضرون السيرك فكانوا إذا رأوها تقوم بحركاتها المضحكة ضجوا بالصراخ والبكاء والعويل !

ولم تيأس هذه الفتاة من الفشل المتواصل ، ولم تفكر فى الانتحار ، ولم تقل أن حظها سىء ، ولم تعد الى بيتها وترتمى على فراشها وتستغرق فى البكاء وتلعن الأيام !

كلا ! . . انها سافرت الى شيكاغو ، وتقدمت الى وظيفة فى البنك ! وقيل لها انتظرى ! لا توجد الآن وظائف خالية لائقة بخريجة جامعة حاصلة على شهادة فى الأدب اليونانى ! الوظيفة الوحيدة التى لدينا هى وظيفة خادمة تنظف الطابق الذى فيه مكتب رئيس مجلس ادارة البنك . مواعيد العمل من منتصف الليل الى الساعة السادسة صباحا . قبلت مرجريت وود الوظيفة ! عملت عامين تغسل البلاط وتمسح النوافذ ! ثم خلت وظيفة ساعية وتقدمت لها وحصلت عليها .

ثم خلت وظيفة مراجع فأدت الامتحان فيها وكانت الأولى . . . وبعد عشر سنوات أصبحت مرجريت نائبة رئيس مجلس الادارة فى أحد بنوك نيويورك !

وكانت قد فشلت قبل ذلك ١٧ مرة !

قال الأطباء سيموت بعد شهور

قال لى الأطباء انه لن يعيش . ولم أصدق ان شابا فى ريعان الشباب مثله يمكن أن يموت ، فاستدعيت أكبر الأطباء فى المدينة فأجمعوا انه لن يعيش إلا شهورا معدودات . وتصادف ان جاء طبيب عالمى إلى القاهرة ، وشاهد صور الاشعة ، وقرأ تقارير الاطباء ، ثم هز رأسه آسفا وقال ان معجزة لا يمكن ان تنقذ حياته . .

وجاءنى اصدقاؤه يقترحون على ان نمنحه سنة بمرتب كامل ، حتى يستمتع بالحياة . لا نرهقه بمواعيد الحضور والأنصراف . . لا نضايقه بالعمل المرهق الشاق . ورفضت هذه الرحمة . وقلت انى لو كنت مكانه لتمنيت ان أموت وأنا أعمل . الموت على المكتب ألذ ألف مرة من الموت فى حديقة غناء ! . .

قالوا يجب ان نخبره بأن حالته الصحية سيئة حتى يقلل المجهود . قلت : لا ! سأعطيه عملا اكثر ! . . لو شعرت لحظة أننا نشفق عليه فسوف ينهار ، وبدل أن يموت فى ستة أشهر سيموت فى شهرين !

ومرت عشرون سنة !

والتقيت به أمس . لم يمت . . بل ازداد صحة وشبابا . . كذبت نبوءة أعظم أطباء العالم . . كذب العلم وصور الاشعة وجميع التحليلات ! . لا أحد يعرف كيف حدث هذا ! ليس هو دواء معينا ، ولا علاجا معينا ولم يسافر إلى أوربا ويدخل أعظم المصحات . ولم يداوه الاطباء بالذرة ! الاطباء الذين يعالجونه فى دهشة وذهول ، ويقولون ان ما رأوه فى هذا المريض الغريب لم يروه من قبل ،

لقد تدهورت صحته فى الشهر الخامس كما حدد الاطباء تماما ، ثم توقف التدهور فجأة بعد ان اجمع الاطباء ان لا فائدة ونصحوا بوقف الدواء ، ثم بدأ التحسن شيئا فشيئا ، وقال الطبيب الذى يعالجه : هذه أول مرة أرى فيها ميتا يعود إلى الحياة !

لا تيأس من رحمة الله .. لا تصدق الذين يقولون لك أن زمن المعجزات انتهى ، بالرغم من كل ما لدينا من علوم ومخترعات ، فكثيرا ما تحدث اشياء لا نستطيع تبريرها او تحليلها !

لا تفقد الامل ابدا .. حتى ولو اجمع كل اطباء العالم ان لا امل فى الشفاء !

الله هو أكبر طبيب فى العالم .

أعظم صحفى فى مصر
مات لا يملك مليما !

كان باعة الصحف يصيحون « فكرى أباظة . الاهرام » وتمتد الأيدى تخطف الجريدة ، كأنها تحمل نبأ قيام حرب أو سقوط حكومة . وكان توزيع جريدة الاهرام يرتفع ارتفاعا ملحوظا يوم يكتب فكرى اباظة مقاله الملىء بعلامات التعجب والاستفهام . فقد ادخل فكرى الاسلوب الساخر الضاحك الى الجريدة الوقور . كان فكرى يهاجم الانجليز والملك والوزراء والحكومات . وكان المندوب السامى البريطانى يشكو من طول لسانه !

وقد كان سعد زغلول وزيرا للمعارف عندما جاءه والد فكرى اباظة يقول له : ان المدرسة ترفض قبول فكرى لانه لا تتوافر فيه شروط القبول ، وتحدث الوزير سعد مع الطفل فكرى واحس ان فى الولد الصغير عبقرية مبكرة فأمر بادخاله المدرسة على سبيل الاستثناء .

ونجح فكرى وانتخب نائبا فى البرلمان وبدأ يهاجم سعد زغلول زعيم الاغلبية ، وكان سعد يضحك ويقول له : هذه غلطتى يافكرى اننى ادخلتك المدرسة وادخلتك البرلمان ! فقد اخلى سعد زغلول لفكرى اباظة دائرة انتخابه .

كان فكرى اباظة برلمانيا من الطراز الاول ، وكان قادرا وهو من حزب الاقلية ان يرغم حزب الاغلبية ان يستمع له ويصفق له . كان يهاجم بنكتة ، ويهاجم بقفشة ، ويجرح ولا يسيل دما . وكان يضرب الوزارة وهو يثنى عليها ، ويحاول اسقاطها وهو يتظاهر بانه يساعدها على الوقوف على قدميها .

وتحمل فكرى اباظة فى سنواته الاخيرة الضربات بعد الضربات . بدأ نظره يضعف حتى أصبح عاجزا عن القراءة ، واصبح يملى مقالاته لانه لا يستطيع ان يرى الكلمات بسهولة على الورق . وكان يسير مستندا على زميل ليتبين الطريق . ومع ذلك استمر يذهب الى مكتبه كل يوم ويكتب مقاله فى المصور كل اسبوع .

وذات يوم كتب مقالا عن اسبانيا قال فيه : ان ثلاثين سنة من الديكتاتورية لم تنس الشعب حلاوة طعم الحرية ! وان الشعوب لا يهمها الانتصارات وهى محرومة من النطق ، مفروض عليها الرأى الواحد والحزب الواحد ! وغضبت مراكز القوى على فكرى وصدر بلاغ يتهم فيه فكرى بالخيانة وتصيدوا له مقالا كتبه عن فلسطين . وصدرت الاوامر بطرده من منصب رئيس مجلس ادارة مؤسسة الاهرام ودار الهلال وحرمانه من اى عمل . وكان فكرى لا يملك ثمن طعام اليوم التالى ، ولا ثمن دواء عينيه .. وتعاون اخوانه واصدقاؤه حتى استطاع فكرى ان يمر من هذه المحنة .

وكان فكرى فى ايامه الاخيرة يحمل هم أن يموت من الجوع ، فقد اشترى بكل مكافأته اسهما بخمسة وعشرين الف جنيه فى دار الهلال ، ثم اممت هذه الاسهم ، وقدر ثمنها كلها بمائة وستين قرشا !

وقد رحم الله فكرى من هذا المصير ، ومات ، بغير ان يحنى رأسه ، ولا أن يمد يده لأحد . مات وحيدا . لا زوجة ولا ولد . ولكنه ترك تاريخا عظيما .

مات الرجل الذى كان نجما فى صحافة مصر لمدة ستين سنة كاملة .. وهو لا يملك مليما !

ولكنه كان يملك قلما !

كان فكرى أحد ملوك صحافة مصر .

الذين لم يذوقوا الحب !

كانت أهم مديرة لاحدى شركات التغذية الكبرى . وصفها صاحب الشركة بانها اقدر موظفة عرفها طوال حياته . كانت جميلة وذكية ورقيقة ، وكانت محبوبة من كل موظفى وعمال الشركة . وكانت كل فتاة فى الشركة تتمنى ان تكون سعيدة مثلها ، محبوبة مثلها ، ناجحة مثلها !

ولكنها كانت تخفى فى قلبها سرا كبيرا . كانت عاشقة تحب أحد رجال الاعمال الفرنسيين . وكانت سعيدة فى حبها . كانت ترى انه اجمل رجل فى العالم ، وكان يؤمن انها اجمل امرأة فى العالم . . وفجأة مات حبيبها !

واسودت الدنيا فى وجهها . لقد احبت الدنيا لانه فيها ، وأحبت الناس لانه واحد منهم ، واحبت الحياة لانها معه . . والآن فقدت الدنيا والناس والحياة . ومكثت عامين كاملين تحاول ان تنساه ! لم تستطع . خرجت تتعشى مع رجال آخرين وجدت صورة حبيبها منقوشة على الطبق . رقصت مع شبان آخرين ولم تسمع الموسيقى وانما كانت تسمع صوته . كانت تغمض عينيها فتراه ، وتنام فتحلم به ، وتركب القطار فتحس انه جالس إلى جانبها !

وذهبت إلى القرية التى كانا يذهبان إليها فى العطلات والاجازات واقامت فى نفس الغرفة التى كانت تقيم فيها معه ، وكتبت خطابا تركته على المائدة . ثم ذهبت إلى المزارع التى كانا يمشيان فيها معا واخرجت زجاجة من الوقود دهنت بها ملابسها ثم اشعلت فى نفسها النار وبعد دقائق تحولت باميلا كوبر إلى رماد !

وفتحوا الخطاب الذى تركته فى الفندق ، وجدوا انها تقول : « انتحرت لاننى

حاولت ان اعيش بدونه ففشلت . اعذرونى اننى احترقت بالنار . . هذه النار كانت فى داخلى مدى عامين » !

ولكن ضابط الشرطة الشاب لا يصدق ان فى الدنيا امرأة تحرق نفسها من أجل رجل تحبه ، ولهذا فهو يشك ان سبب الانتحار الحقيقى هو الحب !

بعض شباب هذا الجيل يعجب لان روميو انتحر من اجل جولييت ! حب هذه الايام لا يساوى فى نظرهم ان يجرح العاشق أصبعه لا ان يحرق نفسه . وهم معذورون لانهم لم يعرفوا الحب الحقيقى الذى يساوى الحياة . عندما يتفانى المحبان ويذوبان وينصهران ويصبحان مخلوقا واحدا !

هذا لا يحدث فى روايات السينما . . ان افلام السينما الآن اعجز من ان تصور الحب الحقيقى . الحب الخالد . الحب الذى وصفه شوقى أمير الشعراء بانه الحياة الحب والحب الحياة !

ما اشقى الذين لم يذوقوا طعم الحب ابدا !

ناس مصر

اجمل ما فى مصر هم ناس مصر !

هذا الشعب الطيب القادر على الابتسام دائما . هذا الشعب الضاحك الذى يستقبل المحنة بنكتة . هذا الصبر العجيب الذى يعتبره الذين يجيئوننا خضوعا وخنوعا واعتبره انا ايمانا . هذه القدرة على احتمال الخطوب ومواجهة الشدائد ومقاومة الضربات . . أعجب ما فى هذا الشعب ان أعظم فضائله تبرز فى لحظات المحن ، وأكبر ميزاته تتألق فى ساعات الازمات .

الانسان المصرى اذا احب عشق واذا عشق تفانى ، واذا تفانى ضحى بحياته من اجل من يحب ، يعطى ولا يطلب جزاء ، يتردد ولا يتقهقر ، يتحمل ثم ينقض ، فيه فروسية عجيبة ، لا يحارب ضعيفا ولا يشمت فى مغلوب ، ولا يفتح قلبه لظالم ، فيه اقلية من المنافقين ، يغيرون آلهتهم كما يبدلون جواربهم ، يعبدون القوى الى ان يضعف ، ويتزلفون للوزير الى ان يستقيل ، ويحملون الموظف الكبير على رءوسهم ، فاذا خرج من منصبه حاولوا ان يدوسوه بأقدامهم . . الكرسى هو الاله الذى يعبدونه ، والسلطان هو الصنم الذى يصلون له صباحا ومساء . يعلون كما يعلو التراب ، ثم تنتهى العاصفة فيعودون الى مكانهم الطبيعى على الارض . اذا اقبلوا لا يرفعون قدر من اقبلوا عليه ، واذا ادبروا لا يضعفون شأن من انقلبوا عليه ! لهم قدرة على التلون ، يغيرون جلدهم ، ويبدلون مبادئهم ، فهم فى مقدمة كل موكب وفى مؤخرة كل مأتم ! . . يعبدون الحى ويلعنون الميت . يحبون الحالى ويكرهون السابق . هم اشبه بساعى الوزير ينقلون مع كل وزير ، ويسيرون خلف كل صاحب سلطة .

يخدمون الاقوياء ويحاربون الضعفاء . يقبلون كل يد مادامت قادرة ان تمنح وقادرة ان تمنع !

مثل هؤلاء موجودون فى كل مجتمع . وهم الانقاض التى تركها الاستبداد والطغيان بعد ان تحول إلى خرائب . . وفى الخرائب تكثر الفيران . . وهم مثل الفيران لا يوجدون الا فى الجحور ، ولا يتكاثرون الا فى الظلام ، يفرون من كل سفينة قبل ان تغرق ، وهم يحملون وباء الطاعون اينما يذهبون !

والحرية هى مصائد الفيران التى تصطاد هذه الفيران . . فحيث يوجد نور وهواء طلق لا توجد فيران !

والانسان المصرى بطبيعته يقرف من هذه الفيران . . واذا رآها طاردها وحاول ان يدوسها بالاقدام !

الانسان المصرى يحترم الصامدين الثابتين المناضلين . الذى ابقى الهرم طوال ألوف السنين هو احجار الجرانيت !

أما التراب فيتناثر فى الهواء عندما تهب اى عاصفة ! قد يرتفع فوق الرءوس ، ثم لا يلبث ان يهوى ويسقط تحت الاقدام !

قلبى مرهق !

قال لى الطبيب انك ترهق قلبك حبا !

قلت انى اعتقد اننى اريح قلبى بحب الناس ، ولا يتعب قلبى اكثر من ان ارى مظلوما ولا استطيع ان انصفه ، أو اجد مطحونا ولا استطيع ان اساعده ، او ان التقى بانسان ساقط على الارض ولا استطيع ان أوقفه على قدميه .

ما اضعفنى امام متاعب الناس ، احس امامها اننى قزم أو عملاق . شعورى بالعجز هو الذى يتعب قلبى ويمزق روحى ويرهق اعصابى .

نصحنى الطبيب الا انفعل ! وان ابتعد عن كل شيء محزن أو مؤلم أو مثير !

حياة الصحفى كلها انفعال ! كيف لا انفعل عندما اسمع بالاعتداء على بيت الله الحرام . عندما اجد آمن مكان مقدس فى الدنيا تحول الى ميدان قتال ! كيف لا انفعل وانا اجد صحف العالم تحاول ان تستغل حماقة بعض زعماء ثورة ايران للنيل من الاسلام ! كيف لا انفعل وانا اسمع المعلقين العالميين يتحدثون عن توقع هجوم مسلح على ايران ! اننى اجد فى كل اذاعة اسمعها كارثة وقعت ، وفى كل صفحة اقرؤها نكبة حلت . . حتى عندما اقرا نبأ عن حفلة غنائية لفرقة الروك أندرول فى امريكا افاجا بأن الجماهير اندفعت لتسمع الموسيقى الراقصة فسقط عشرات تحت الاقدام ومات ١١ شابا وشابة واصيب ٢٠ باصابات خطرة !

اننى احاول ان ابحث عن نبأ سار . افتح عينى فى الصباح وابحث عن اخبار

التاجر جبران الذى اختفى منذ بعضة ايام ولا نعرف هل خطفوه ام قتلوه ! وهل هى جريمة حب أم جريمة سرقة . وهل هو غرام أم انتقام ! أو أقرأ عن انقلاب أوتوبيس بعشرات المهندسين ارادوا ان يسافروا الى بورسعيد فحملهم الاوتوبيس الى الآخرة . أو اقرأ عن تصادم قطارين فى كفر الشيخ أو اقرأ عن تقديم نائب رئيس وزراء سابق الى محكمة الجنايات بتهمة الرشوة .

واقلب صفحات الصحف فلا اجد خبرا سارا او مفرحا ، كأن العالم كله انقلب الى دنيا من النكد لا تجىء منها الا انباء المصائب والاحزان ! حتى أصبحت صفحة الوفيات اقل الصفحات حزنا ، ففى كل خبر يموت فرد واحد ، بينما تجد فى الصفحات الأخرى اخبارا صغيرة يموت فيها عشرات ومئات والوف !

والطريق الوحيدة الا أقرأ الصحف ، ولا اسمع الاذاعة ، ولا افتح التليفزيون ، ولا اقابل الناس !

وجربت ان انقطع عن العالم .. واحسست اننى اختنق !

وفضلت ان أعود ، واقرأ الصحف ، واسمع الاذاعة واتفرج على التليفزيون وأرهق قلبى حبا !

أفكار الماضى

ترى ماذا ستقول الاجيال القادمة عن نصائحنا لاولادنا وطريقة تربيتنا لبناتنا ؟ هل ستسخر من هذه الاراء ؟ هل ستتغير مفاهيم الحياة مع تغير الايام ؟

خطر هذا ببالى وانا اقلب خطابات كتبها الزعيم احمد عرابى من منفاه فى جزيرة سيلان الى زوجته فى القاهرة .

الخطاب مؤرخ فى سنة ١٣٠٦ هجرية اى من ٩٣ سنة . والخطاب يشكو فيه عرابى انه تلقى خطابا من كريمته ام كلثوم « وبتلاوته حصل لنا كدر شديد ، اذ علم لنا منها انها تخلقت باخلاق ذميمة ، وتلك الاخلاق ليست من طباعنا اصلا بل انها اكتسبت ذلك من مخالطتها الى حرم اخيها التى ابتلانا الله تعالى بها . . » .

ويذكر عرابى باشا ان الجريمة النكراء التى ارتكبتها ابنته ام كلثوم « انها تتعلم الكتابة الانجليزية ، وتوقع اسمها على الجوابات المرسلة لنا بالقلم الانجليزى ، الامر الذى تستوجب عليه قطع اياديها » !!!

ان كل اب مصرى فى هذا العصر يحرص على ان تتعلم ابنته اللغة الانجليزية ، فان فرص العمل لمن يجيد اللغة الانجليزية اضعاف الفرص امام الذين لا يعرفون سوى اللغة العربية ، بل ان المرتب الذى تحصل عليه الفتاة التى تجيد الانجليزية يصل الى اربعة أو خمسة اضعاف مرتب التى لا تعرف اللغة الانجليزية ، ولكن عرابى باشا يرى قطع يد ابنته التى تكتب باللغة الانجليزية .

وقال عرابى باشا فى خطابه ان ابنته « تتعلم كتابة قوم لا يعود علينا وعليها منها الا الضررَ أو الفضيحة والعار » !

ومن الطريف ان أم كلثوم بدأت تتعلم الانجليزية لتشترك فى الدفاع عن والدها للافراج عنه فى معتقله فى سيلان ، ولكن الزعيم عرابى رفض ان تتعلم ابنته الانجليزية حتى ولو لتدافع عنه !

وحدث ان كتب ابنه من القاهرة حسن عرابى يستأذنه فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٩٩ ـ أى من تسعين سنة ـ فى شراء بسكلته فكتب عرابى باشا من سيلان الى ولده يقول : « اما العجلة الدراجة التى تطلبها لتركبها فاعلم يا ولدى انها ذات خطر عظيم ، لا ينبغى لعاقل ان يستعملها لان كثيرا من الناس ماتوا من صدمة الوقوع بها ، ومنهم شقيق قيصر روسيا ، وكثيرا ما انكسرت اذرعتهم وأرجلهم ، فضلا عن ذلك فان الذين يستعملونها يصابون بمرض القلب ، ويكون ذلك سببا فى موتهم احداثا . فلذلك ننصحك بأن تستعمل رجليك فى المشى فانها خلقت لذلك . واذا أردت الركوب فالفرس والبغل والجمل والحمار والعربة أكرم واعز وامن من تلك » !!!

أيها الاب فى سنة ١٩٧٩ لا تكتب الى ابنك خطابا تنصحه الا يركب الصواريخ أو لا يطلع الى القمر . . والا فسوف تضحك منك الاجيال القادمة !!

الفشل ظل الغرور

كانت الشركة الامريكية تخسر عاما بعد عام . بضاعتها كاسدة راكدة . الكل يتوقعون افلاسها . ثم جاء مدير جديد درس مع كبار موظفى الشركة اسباب الفساد ، واتفق معهم على حلول تنقذ الشركة من الافلاس . لم يعين موظفا جديدا واحدا . ولم يرفت موظفا قديما واحدا . كل ما فعله انه تعاون مع جميع الموظفين والعمال . ونجت الشركة من مصيرها المحتوم . وراجت بضاعتها . وارتفع سعر اسهمها . وتحول الفشل الذريع الى نجاح كبير .

واصيب المدير الجديد بالغرور . الم ينقذ الشركة من الغرق ؟ الم يحول خسائرها الى ارباح ؟ واحس انه عبقرى لا يخطىء . وانه ادارى عظيم لا يحتاج الى مشورة احد او الى رأى احد أو الى مساعدة احد ! . بدا يلقى تقارير مساعديه فى سلة المهملات . . نسى ان هذا النجاح ليس نجاحه وحده ، وانما هو شريك فيه ، وانه لولا تضامن مساعديه حوله ، والجهد الذى بذلوه ، والليالى التى سهروها ، والافكار التى ابتكروها لما أمكن ان تحقق الشركة كل هذه الارباح !

عيب بعض الناس ان النجاح يعميه . يجعله يفقد ذاكرته فينسى كيف صعد .

وبدأت الارباح تنكمش . والمكاسب تتناقص . . والرواج يتوقف . . والمدير فى ذهول كيف يحدث هذا الهبوط ولم يتغير اى شيء فى الشركة ! مايزال هو المدير الذى حقق النجاح الأول !

لم يحاول ان ينظر الى ما تحت اقدامه ، فيعرف انه احتقر آراء الذين رسموا له طريق النجاح !

وبدأت الشركة تخسر من جديد عاما بعد عام .

ودهش المساهمون ماذا حدث ؟ والمدير الذى صنع النجاح هو المدير الذى جاء بالفشل !

ولم يعرف المساهمون المساكين انه عندما يدخل الغرور الى مكتب اى انسان يدخل فى اثره الفشل .

ان الفشل هو ظل الغرور !

عندما ألتقى بمستقبل بلادى

اشعر بسعادة غامرة عندما التقى بشاب يكافح . كأننى التقى بمستقبل بلادى . هذه هى الأيدى القوية التى ستبنى امتنا ، والتى ستنهى هزيمة اجيال سابقة لم تعرف طريقها فى الظلام .

مستقبل بلادى هو مستقبل النور فيها . مستقبل هؤلاء الذين يحملون المشاعل ويحولون ضيقها الى رخاء . . مستقبل الذين يعرفون كيف يحبون مصر ، وكيف ينسون انفسهم ويذكرونها !

اعلم ان مهمتهم كبيرة ، ولكننى اؤمن انهم اكبر من هذا التحدى الذى ينتظرهم . كل ما هو مطلوب منهم ان يحبوا بلادهم . ان يعطوها قبل ان يأخذوا منها . ان يعلموا انهم وحدهم الذين سيجيئون لها بكل فجر جديد .

عندما أتحدث اليهم اقرأ فى عيونهم تصميما وايمانا . انهم يعلمون ان مهمتهم ليست سهلة . هذا جيل ولد فى الهزيمة وكابد اليأس وعاش فى الأرهاب . ثم بدأ يرى معجزة عبور اكتوبر التى حولت اليائسين الى حالمين ، والمهزومين الى منتصرين ، والعاجزين الى عمالقة .

انتصار اكتوبر اعاد الى هذا البلد ثقته بنفسه ، بل اننى ازعم انه اعاد اعتبار الشعب الذى افقدته الهزيمة اعتباره . وكان شعار الله اكبر هو كلمة السر التى فتحت الابواب المغلقة ، أو على الاصح هى التى فتحت القمقم ليخرج منه المارد الذى كان محبوسا فى القمقم اكثر من عشرين سنة .

وأحس احيانا فى احاديثى مع هؤلاء الشباب انهم حيارى . . وان فى عصر هزيمة الشعب كسرت قلوب البعض منهم . . ولكن يجب ان يضع اكتوبر بداية جديدة لنا !

ومهمتنا اليوم ان نشجع قيام قدوة فى كل ميدان من ميادين حياتنا .

نحن فى حاجة الى كتب كثيرة نضعها بين يدى الشباب تحدثهم عن تاريخ الشباب تحدثهم عن تاريخ بلادهم ، تحدثهم عن هذا الشعب الذى كان اول من اضاء مشعل الحضارة فى العالم ، وكان اول من ثار فى عهد اخناتون ، وكان اول من قاوم نابليون ، وكان أول من اختار حاكمه فى عهد محمد على ، واول من أنشأ مجلس نواب فى الشرق الأوسط وفى الشرق الأقصى قبل الاحتلال البريطانى . . نحن فى حاجة الى كتب تروى قصص الذين حملوا مشاعل الحرية فى هذه المنطقة ، الذين وقفوا فوق المشانق يهتفون بحياة مصر . يجب ان يحس هذا الشباب بان له جذورا عميقة فى باطن الارض ليعرف انه يستطيع ان يكون شجرة ضخمة لها فروع تظل الألوف حولها .

انى متفائل بمستقبل شباب بلادى ، لاننى متفائل بمستقبل الحرية . .

صاحب العمارة الجشع

لا شيء يضايقنى اكثر من العمل الناقص ! خاصة اذا كان النقص متعمدا . . امر من بيتى الى مكتبى كل يوم على عشرات العمارات ناقصة التشطيب . تمر الشهور ولا أرى شباكا يوضع او ان يثبت ! فهى خرائب جديدة . . ملايين الجنيهات تنفق لبناء خرائب ، والا فما هو سر توقف عمليات البناء ؟

هل السر ان بعض الناس يريد ان يصبح صاحب ملايين على جثث هؤلاء المساكين الذين لا يجدون مأوى يعيشون فيه ، الذين تزوجوا مع وقف التنفيذ ، الذين حفيت اقدامهم بحثا عن غرفة فلا يجدون ولو غرفة فوق السطوح !

وكيف نسمح لحفنة من الجشعين الذين لا يشبعون ابدا ان يستغلوا هذه الازمة الطاحنة ليثروا على حساب شابات وشباب يطوفون الشوارع والحوارى كل يوم يبحثون عن شقة أو غرفة ؟ . . وهل يعلم هؤلاء ان فى كل بيت ازمة بسبب غرفة ، وان روابط عائلية قوية تحللت بسبب شقة ، وان جرائم ترتكب كل يوم لخلاف على مسكن ! وان ازمة المساكن تهدد الاسرة وتهدد الاخلاق وتهدد التقاليد ؟

كل صاحب عمارة يتعمد التأخير فى تشطيب عمارته يرتكب جريمة فى حق مليون انسان . اصبحت مشكلة الشقة تعذبه وتضنيه وتنكد عليه الحياة . وهذه المشكلة تستوجب اجراء عملية تفتيش تقوم بها المحافظة او وزارة الاسكان لتسأل كل صاحب عمارة عن سر هذا التباطؤ المريب العجيب . هل هم يقصدون ان

يكسبوا وقتا لترتفع اجور الشقق اكثر مما ارتفعت ؟ وليصل ثمن الشقة التى كانت فى سنة ١٩٧٣ بثمانية آلاف جنيه فاصبحت الآن بمائة الف جنيه . . هل هم ينتظرون حتى يصل ثمن الشبقة الى نصف مليون جنيه !؟ وهل من الممكن السكوت على هذا الجشع الذى لم نشهد له مثيلا لا فى عهد اغنياء الحرب ولا فى عهد تجار السوق السوداء !

ان مهمة الحكومة ان تحمى الشعب من الاستغلال . فاذا اصر هؤلاء ان يصبحوا اصحاب ملايين على حساب سكان الاكواخ والقبور والجوامع والارصفة فلنتقاض ضريبة تسعين فى المائة على كل صاحب عمارة جديدة تعمد عدم اتمامها ، واشترى الاسمنت والحديد بثمن بخس ليبيع الاسمنت والحديد بسعر الذهب والماس والزمرد والياقوت !

خير لنا ان نرى فى مدينة عشرين عمارة كاملة على ان نشهد مائتى نصف عمارة ! العشرون عمارة سوف تسكن فيها مئات الاسر ولكن المائتى نصف عمارة لن تسكن فيها الا البوم والغربان !

اننا على استعداد ان نقف بجوار اصحاب العمارات ليشيدوا وليثروا وليغتنوا . .

ولكننا لسنا على استعداد ان نقف بجانبهم عندما يبنون عماراتهم فوق جثث الذين لا يجدون مسكنا ولا مأوى ولا غرفة فوق السطوح !

خطاب إلى الملكة

كانت الملكة تتصفح بريدها . ووجدت بين أكوام الخطابات خطابا بخط طفلة صغيرة تقول فيه :

سيدتى العزيزة . .

انني مدعوة الى عيد ميلاد خالى الذى يبلغ من العمر ٢١ سنة . وقد اشتريت فستانا جميلا لهذه المناسبة . ولكننى لا أملك جواهر أتزين بها مع الفستان . هل استطيع ان أرجو جلالتك ان تقرضينى التاج الذى تضعينه على رأسك فى المناسبات الرسمية ، لاضعه على رأسى لهذه المناسبة ، واعيده لك عقب الحفلة مباشرة .

الامضاء إميلى مور . عمرى ٨ سنوات . عنوانى ميل رود كامبردج .

وبعد ايام تلقت الطفلة اميلى خطابا من وصيفة ملكة انجلترا تقول لها ان جلالة الملكة كلفتها ان تكتب لاميلى لتشكرها على خطابها الرقيق ، وقد تأثرت جلالتها من جمال اسلوبه وحلاوة مشاعره ، وكان يسعدها ان ترسل تاجها لاميلى لتضعه فوق رأسها فى حفلة عيد ميلاد خالها ، ولكن التقاليد لا تسمح للملكة ان تقرض تاجها لاحد ، وهى تنتهز هذه الفرصة لتبعث لها بتهانيها الحارة وتمنياتها القلبية لمناسبة عيد ميلاد خالها . . !

•

وقالت الطفلة الصغيرة انها فرحت بخطاب الملكة وكأنها تلقت تاج الملكة ! وسوف تحمل خطاب الملكة معها الى حفلة عيد ميلاد خالها ليراه الحاضرون ، وليعرفوا ان الملكة ردت على خطابها . .

انتا قد لا نستطيع ان نحقق لانسان امنيته ، وقد يكون تحقيق هذه الأمنية فوق قدرتنا أو اكبر من استطاعتنا . ولكن يكفى ان يشعر اننا نحس به ونهتم به . هذه كلمة حلوة تبدو لعينى طفلة صغيرة تساوى تاج الملكة المرصع بالماس والزمرد والياقوت . كلمة طيبة لا تكلفنا شيئا قد تمسح دمعة من عين باك . قد ترسم ابتسامة على شفتى حزين . قد تخفف بعض الالم عن قلب مجروح . قد تضيء عود ثقاب فى ظلام انسان . قد تعطى دفعة من القوة لمظلوم محطم مسحوق !

انك لن تخسر شيئا اذا أعطيت بعض اهتمامك للآخرين . تأكد ان الدنيا ستكون اجمل لك ، لو كان عدد الباسمين فيها اكثر من عدد العابسين ، لو كان عدد الحالمين فيها اكثر من عدد اليائسين . لو كان عدد السعداء فيها اضعاف اضعاف عدد الاشقياء . كل واحد فينا قادر ان يسعد اكبر عدد من الناس بابتسامة ، بكلمة حلوة ، بمحاولة اهتمام ، بيد ممدة لمساعدة الذى يمكن ان نساعده ، بلقمة نطعم بها جائعا بدلا من ان نلقى هذه اللقمة فى صفيحة الزبالة . بالدفاع عن حق مهضوم . بالوقوف الى جانب برىء مظلوم . .
اى شيء من هذه الاشياء الصغيرة قد تساوى فى بعض الاحيان تاجا من الذهب ، مرصعا بالماس والزمرد والياقوت !

كوب زجاج تحطم

جاءنى يستشيرنى فى انه يريد ان يدخل صناعة جديدة فى بلادنا !

قلت له : اقدم ولا تخف ! هذه دنيا المقتحمين لا دنيا الخائفين المترددين . كل ما انصحك به الا تحيط نفسك باقزام . العمل الكبير يحتاج الى رجال كبار . انك تستطيع ان تبنى كوخا صغيرا بجاروف صغير ، ولا تستطيع ان تبنى ناطحة سحاب الا بعدة آلات رافعة ضخمة . فالعمل العملاق يحتاج الى عمالقة ، ولا يمكن ادارته باقزام صغار ! لا تتصور انه لكى تكون كبيرا يجب ان يكون الذين حولك أصغارا . . أعظم رجال الصناعة فى العالم احاطوا انفسهم باعظم العباقرة والخبراء من مهندسين وعلماء واقتصاديين . لم يتخيل واحد منهم انه يستطيع بمفرده ان يدير شركته الضخمة ، بل استعان باعظم العقول واكبر الخبرات . . وفى كل شركة صناعية كبيرة فى العالم يوجد معهد ضخم للبحوث مهمته ان يتقدم باختراعات جديدة لتحسين الانتاج وبافكار جديدة لتخفيض تكاليفه .

انك تكسب كثيرا عندما تستعين برجال اقوياء ، وتخسر كثيرا اذا احطت نفسك برجال ضعفاء . فلا يستطيع الضعفاء ان يكونوا مخلصين ولا يستطيع الجبناء ان يكونوا ناصحين . ولا يستطيع الانتهازيون ان يقيموا صناعة جديدة ، بل هم يستطيعون ان يهدموا العمل الكبير ، وان يقوضوا البناء الشامخ ، وان يحولوا الارباح الضخمة الى خسائر فادحة !

وعندما تبدأ عملا كبيرا فكر فى النجاح قبل ان تفكر فى الأرباح . فالذين

جروا وراء الربح السريع كسبوا أولا ، وخسروا اخيرا ! والذين قنعوا فى اول الامر بربح بسيط استمرت ارباحهم وتضاعفت عشرات السنين . .

واحذر من هؤلاء الذين يدعون العلم بكل شىء ولا يعلمون اى شىء ، فالصناعى الذكى هو الذى يستعين بالخبراء ويتعلم منهم ولا يجد غضاضة ان يتحول امام الخبير الى تلميذ ، حتى ولو كان هو يملك المصنع ويملك مليونا من الجنيهات ، فان المليون لا يصنع خبرة ، ولكن الخبرة هى التى تأتى بالملايين . !

لقد رأيت سيد ياسين عندما احضر عددا من الخبراء التشيكيين ليعلموا عمالنا صناعة الزجاج وأقام لهم بيوتا يسكنون فيها بالمصنع الذى اراد اقامته ، ويومها قال له بعض مدعى الوطنية : ليس من الوطنية ان تستعين بخبراء اجانب !

وقال لهم سيد ياسين ، الوطنية ان اتعلم منهم . . والخيانة ان ادعى العلم بما لا اعلم !

وتعلم سيد ياسين ، وتعلم مئات العمال ، ودخلت صناعة الزجاج الى مصر وفاقت صناعة الزجاج فى تشيكوسلوفاكيا !

ومرت الايام وجاء احد الوزراء وشطب اسم سيد ياسين من إسم مصنعه !

ولكن مصر لن تنساه !

أما الوزير الذى أصدر هذا الامر فقد كانت نهايته أشبه بنهاية كوب زجاج تحطم !

ســوف ترون الشمس

لا تيأس !

لو ان الذين قبلنا يئسوا لما بنوا الاهرام ، ولما صنعوا الحضارة ، ولما دخلوا التاريخ . أمش فى الشارع . انظر الى هذه الابنية الشاهقة الى المتاجر الجميلة الى المصانع الضخمة . كل هذا لم يصنعه اليائسون ، وانما صنعه الحالمون !

كل واحد من هؤلاء لقى فى طريقه صعوبات ومتاعب وازمات ومشاق ومضى فى الطريق . كل واحد من هؤلاء حورب ، تلقى ضربات الخناجر وطعنات السكاكين ، سمع كلمات اليأس والقنوط والنصح بان يعود ادراجه فيريح نفسه من كل هذا البلاء . ومع ذلك اصر هؤلاء الرواد على النجاح . على ان يصنعوا من الطوبة الواحدة ناطحة سحاب ، ومن الصامولة الواحدة ورشة لإصلاح السيارات ، ومن نعل الحذاء مصنعا لصناعة الاحذية !

المستحيل هو عذر تقدمه اوهامنا ، نعتذر به عن عجزنا وخيبتنا . ولا شىء فى الدنيا مستحيل امام ارادة قوية وايمان راسخ وتصميم على تحدى الصعاب .

رأيت شابا يشكو من انه كتب فى احدى الصحف الكبرى عشرة مواضيع صحفية ولم ينشر اسمه ، وكان يعتبر هذا اكبر دليل على ظلم الانسان لاخيه الانسان ، فلما اخبرته اننى كتبت الف مقال قبل ان ينشر اسمى للمرة الاولى فى الصحف . اعتبر صمودى وصبرى بلادة واتهمنى باننى كنت محدود الآمال ! على العكس كنت واسع الآمال . ولقد حققت كل احلامى لاننى عرفت كيف اصبر

وكيف احتمل ، وكيف اسقط على الأرض واحاول ان أقف من جديد . . لا أذكر انى فى يوم من ايام حياتى يئست من رحمة الله . اذا جاء الليل حاربت من اجل ان يجىء النهار . واذا وقع الفشل قاومت حتى يعود النجاح . واذا اقفلت كل النوافذ فى وجهى فكرت فى ان اقفز من النافذة ، واذا وجدت النافذة محكمة الاغلاق بحثت عن ثقب فى الجدار . واذا كانت الغرفة محكمة الاغلاق حاولت ان اهرب رأيى الى خارج الزنزانة ليقوم بدور المعول الذى يحطم الجدار !

وعندما كنت طفلا نزلت الى البحر وكدت اغرق وانقذنى اخى من الموت باعجوبة . ولم أكره البحر ولم اخف منه ، بل عدت احاول من جديد ، واتعلم كيف اسبح وكيف اقاوم التيار الى ان عرفت السباحة ، وركبت حصانا وأوقعنى الحصان على الأرض وحاولت من جديد . ولم اصبح فارسا وانما استطعت بعد ذلك ان اركب الحصان دون ان اسقط منه . . وحاولت ان اركب بسكليت وسقطت منها وتمزقت ملابسى وجرحت ساقى ، وضمدت جروحى وحاولت من جديد وبقيت اركب وأقع ، وأقع واركب الى ان استطعت الاستقرار فوق البسكليت !

يخطىء كثيرا من يغلق عينيه فى النهار ، ويقول ما أحلك الظلام !

ويخطىء اكثر واكثر من يرى الظلام ولا يصدق ان الشمس سوف تشرق بعد ساعات !

الايمان فى كلية العلوم

هاجمنى طالب ملحد فى ندوة فى كلية العلوم بجامعة عين شمس .

كنت أتحدث عن الايمان ، وان سبب تفاؤلى الدائم هو هذا الايمان ، وانه نتيجة علم ودراسة وخبرة ، وتجربة وبحث وامتحان ، ومحن وصعاب وأزمات وخطوب .

وانتفض الطالب الملحد ، وقام ليهاجمنى ويشتمنى ويتهمنى . فلا شىء يفزع الملحد المحترف ويثير اعصابه أكثر من الحديث عن الايمان . فحديث الايمان يؤلمه كطعنات الخناجر والسكاكين .

وكان نظام الندوة يقضى بأن تكون الاسئلة فى أوراق مكتوبة ، ولكننى رحبت أن يجىء الطالب الملحد الى الميكروفون ، مخالفا لنظام الندوة ليشتمنى ويهاجمنى كما يريد !

وعندما انتهى من شتائمه صفقت له !

وعجب بعض الطلبة أن أصفق لمن يهاجمنى . وقلت لهم اننى أنادى بالديموقراطية . واطالب الوزراء بأن يحتملوا النقد والهجوم وبعض النقد قد يكون ظالما . ولهذا فأنا أصفق للرأى الآخر الذى يخالف رأيى ، حتى ولو كان هذا الرأى يخالفنى ويظلمنى .

فليست الحرية هى حريتى فى أن أبدى رأيى ، ولكن الحرية هى أن تعارضنى وتنتقدنى وتهاجمنى . ولو أجمعت الأمة على رأى وجاء مواطن واحد برأى مخالف ،

فمن واجبى أن ادافع عن حق هذا المواطن أن يقول رأيه .

ولَم أخسر شيئا بهذا الهجوم والتجنى . لقد ساعدت على اخراج شىء من الهواء الاسود المحبوس فى قلبَ شاب مضلل . جعلته يرى الفرق بين الديموقراطية والديكتاتورية . ففى الديكتاتورية تقطع الالسنة المعارضة ، وتكتم الانفاس المخالفة ، ويعامل المنشقون معاملة المنبوذين .

ولقد سعدت عندما رأيت أن الاغلبية الساحقة لطلبة وطالبات كلية العلوم على درجة كبيرة من الوعى السياسى والفهم الوطنى . أحسست أن الله موجود فى كل قلب ، وان الايمان يعمر كل قلب . ولقد قلت لهم اننى أرى الله فى كل العلماء . وأذكر ان العالم العظيم اينشتين قال انه لاحظ ان العلماء يؤمنون اكثر كثيرا من الجهلاء ، وانه كلما زاد الانسان علما زاد ايمانا ، وهذا هو ما أحس به الانسان عندما مشى لاول مرة على سطح القمر ، لقد احس انه وصل الى هنا بقوة الله . . أكثر مما وصل بقوة العلم والاختراع .

ان الايمان بخير فى كلية العلوم !

يمكنك أن تنام أقل وتعيش أكثر !

كانت مشكلتى دائما طول حياتى أن الاربع والعشرين ساعة لا تكفينى .. كانت لدى دائما أشياء كثيرة أتمنى أن أقوم بها ، وينتهى اليوم قبل أن أنتهى منها . وكنت أتمنى أن أكون مثل نابليون بونابرت الذى كان لا ينام الا ثلاث ساعات أو أربع ساعات فى اليوم ، وكنت أحسد الزعيم البريطانى وينستون تشرشل الذى قال مرة إنه كان يكتفى بالنوم ساعتين كل ليلة .. وأحيانا ينام لمدة ربع ساعة وهو جالس على مقعده فى رياسة مجلس الوزراء ويستأنف عمله من جديد وكأنه نام عشر ساعات !

وظهر أخيرا كتاب اسمه « يمكنك أن تنام أقل وتعيش أكثر » !

ويقول المؤلف الامريكى « ايفريت ماتين » اننا لانحتاج أن ننام ثمانى ساعات كل يوم ، بل يؤكد اننا لا نحتاج الى النوم على الاطلاق ، ويزعم أننا ورثنا النوم عن اجدادنا سكان الكهوف الذين لم يجدوا ما يفعلونه فكانوا يقتلون الوقت بالنوم الطويل !

وذكر المؤلف أن العلماء يعتقدون أن سر شعورنا بأننا فى حاجة الى النوم ثمانى ساعات كل يوم هو أن آباءنا وأمهاتنا كانوا يضعوننا فى الفراش فى ساعة مبكرة كل يوم ليتخلصوا من ضجيجنا وبكائنا وصراخنا ونحن أطفال !

وأثبت المؤلف فى كتابه أن الانسان الذى ينام أقل يكون عادة أكثر نشاطا من الذى ينام ساعات طويلة .. وأكثر قدرة على العمل والانتاج ، وذكر أن الرئيس

كنيدى كان يذهب الى فراشه متأخرا جدا ثم يبدأ عمله عند الفجر ، وأن كثيرين من عظماء العالم لا ينامون الا ساعات معدودة .

وفى رأيه أننا ننام على أربع مراحل ، وأن المرحلة الاخيرة فى النوم هى المرحلة الضرورية وهى المرحلة التى تحدث فيها الاحلام . . ! وان فى استطاعة أى انسان أن يقلل ساعات نومه تدريجا . ويمكنك أن تبدأ بتخفيض نصف ساعة من ساعات نومك ، ثم تزيد المدة الى ساعتين أو ثلاث ساعات .

فاذا استطعت أن تخفض ساعة ونصفا من نومك كل يوم فانك تطيل عمرك ثلاث سنوات اذا بدأت بهذه التجربة وعمرك ٣٦ سنة ! . . وان هذه الساعة والنصف ساعة التى توفرها كل ليلة تعطيك ٥٤٧ ساعة فى كل عام .

ولقد حاولت فى الليلة الماضية أن أقلد نابليون بونابرت وأنام ثلاث ساعات فقط . .

ونمت وأنا أشعر أننى نابليون بونابرت .

واستيقظت وأنا أشعر أننى عيدى أمين !

أسرار الشركة

ذهب رئيس مجلس الادارة الجديد إلى مكتبه فى الشركة ليتولى أعمال منصبه ، وأقبل عليه المديرون وكبار الموظفين يهنئونه بالمنصب الكبير ، وبعد أن انتهت وفود التهانى طلب مدير المستخدمين مقابلة رئيس مجلس الادارة على انفراد ، لأمر هام !

وقال مدير المستخدمين انه يعلم أن رئيس مجلس الادارة جديد فى الشركة ، وأنه سمع عن عبقريته وكفايته ، ولهذا فهو يضع نفسه فى خدمة الرئيس الجديد ، ويريد أن يعطيه صورة صادقة عن كبار موظفى الشركة : المدير العام يقيم فى بيته ليالى حمراء ، ونائب المدير العام مدمن على لعب القمار ، والمستشار القانونى يتعاطى المخدرات والمدير المالى لص ، وكبير المهندسين زير نساء ، ومدير المشروعات دساس وملفق وكذاب .

وشكر رئيس مجلس الادارة الجديد رئيس المستخدمين على اخلاصه وولائه واهتمامه بمصالح الشركة . وكتب فى ورقة أمامه اسم كل موظف كبير والرذيلة المنسوبة إليه .

ولم يكن رئيس مجلس الادارة يعرف من موظفى الشركة إلا الحاج حسين وكيل الأرشيف الذى أمضى فى عمله فى الشركة ثلاثين عاما ، فاستدعاه إلى مكتبه وقال له :

- انى علمت أن مدير المستخدمين فى الشركة يقيم فى بيته ليالى حمراء ويلعب القمار ويتعاطى المخدرات ، وهو لص وزير نساء ودساس وملفق وكذاب !

وفتح الحاج حسين وكيل الأرشيف فمه فى دهشة وذهول وسأل رئيس مجلس الادارة : كيف عرفت كل هذه المعلومات الدقيقة الصحيحة عن مدير المستخدمين ، ولم يمض عليك فى الشركة ٢٤ ساعة ! لابد أن لديك قلم مخابرات قويا . . لابد أن عندك عيونا وآذانا تسمع كل ماكان يجرى فى الشركة ولا يعرفه إلا عدد محدود جدا من الموظفين !

قال رئيس مجلس الادارة الجديد : انى علمت بهذه المعلومات كلها من مدير المستخدمين نفسه ! انه اعترف لى بأن فيه كل هذه الصفات والنقائص والرذائل ! لقد وصف كل مدير فى الشركة بصفة منها ، فدونتها على ورقة أمامى وأحسست أنه يصف نفسه !

ان الذين اعتادوا أن يطعنوا زملاءهم لدى رؤسائهم هم فى الواقع ينسبون لهؤلاء الزملاء كل عيب فيهم ! عندما ترى مخلوقا يرمى آخر بالطين ، فاعلم أنه يستخرج هذا الطين من داخله ليلوث به الابرياء . يريد أن يلطخ كل الناس حتى يكونوا مثله ملطخين بنفس الوحل والطين !

وأمسك رئيس مجلس الادارة الجديد ورقة وكتب عليها قرارا بمنح مدير المستخدمين أجازة مفتوحة !

وثار مدير المستخدمين غاضبا وقال : أنا لم أرتكب جريمة ، كل ما فعلته هو أننى أخبرت رئيس مجلس الادارة بأسرار الشركة ! . .

وضحك رئيس مجلس الادارة وقال : ياعبيط ! انك أخبرتنى بأسرارك الخاصة ! .

كلمة حنان تساوى مليون جنيه

اذا كان المثل يقول انه ليس كل من يركب الحصان فارسا خيالا ، فليس كل مصرى يهاجر إلى الخارج يصبح صاحب ملايين ! فالذين يتصورون أن الحياة خارج الحدود مفروشة بالملايين يخطئون ، انها أحيانا مفروشة بالتراب ، مفروشة بأشلاء الفاشلين وبعظام الذين سقطوا فى منتصف الطريق ، النجاح الكبير يحتاج إلى جهد كبير ، وعمل شاق ، وكفاح مضن ، وصراع متواصل . والذى يصل إلى القمة يدفع دائما ثمنا باهظا من راحته وصحته ودمه وأعصابه . وأحيانا من سعادته وحريته . يحرم نفسه من الإجازات . يصوم عن الاستمتاع بكثير من مباهج الحياة . يصبح العمل هو الخمر الذى يسكره ، وهو المرأة التى يعشقها ، وهو القصر الذى يسكنه ، وهو الموسيقى التى يسمعها . أنت لاتستطيع أن تنال كل شيء فى وقت واحد . أنت تنفق الصحة والشباب لتحصل على المال ، فإذا وجدت المال لاتجد الصحة والشباب ، وعندئذ تنفق كل ماجمعته من مال لتسترد بعض الصحة وبعض الشباب ! .

انى أكتب عن قصص الذين ذهبوا إلى الخارج ونجحوا ، ولا أكتب عن الذين ذهبوا وضاعوا ، تاهوا فى شوارع الحياة ، أو ألتهمتهم أعاصير الفشل أو ابتلعتهم الغابة الكبرى المليئة بالوحوش وآكلة لحوم البشر التى نسميها الدنيا وراء البحار !

إن الآنسة إكرام الصاوى مدرسة الفلسفة تسألنى عن أخيها الأكبر الذى هاجر إلى البرازيل من سبعة أعوام ، وهو متزوج وله ولد فى الرابعة وبنت فى الخامسة

وخمس من الأخوات وأستقال من عمله وحصل على المكافأة دفعها أجرا لسفره . وسافر تاركا أسرته تعيش فى أحلام نجاحه الموعود .

وفى خلال السنة الأولى وصل أسرته ثلاثة خطابات عن عدم وجود عمل واصبروا ! وفى خلال السنة الثانية كتب خطابين عن سوء الأحوال واصبروا ! وفى خلال السنة الثالثة وصل خطاب واحد بأنه تزوج برازيلية . يافرحتنا ! وفى خلال الأربع سنوات التالية لم يكتب خطابا واحدا . لايعرف أهله هل هو حى يرزق أم ميت يبكونه . إن قنصلية مصر فى البرازيل لاتجيب على أسئلة الأسرة الملهوفة .

هل من الممكن أن ينسى الانسان فلذات كبده ؟ إن هؤلاء الأولاد الصغار لايريدون أن ينتظروا عشرين عاما ليعود أبوهم إلى مصر مليونيرا ! ماذا يفعلون بهذه الملايين بعد أن حرموا عشرين سنة من حب الأب وحنانه واهتمامه .

إن كثيرين من الذين هاجروا من مصر ونجحوا عادوا إلى مصر بعد سنوات طويلة ليبحثوا عن أمهاتهم وآبائهم فوجدوا أن الفراق صهرهم ، والقلق حطمهم ، والنسيان هدمهم . بعضهم تحول الى حطام وبعضهم فقد البصر وحاول أن يرى وجه ابنه الغائب منذ ١٥ سنة وهو يتحسس وجهه بأصابعه ! إن كارت بوستال عليه طابع بريد بقروش ممكن أن يسعد أما شقية ، ويريح أبا معذبا ، ويفرح أولادا مهجورين مهملين يائسين قانطين !

ماقيمة مليون جنيه بعد عشرين سنة ! .

أعطنى كلمة اهتمام بقرش صاغ اليوم !



محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب

٢٣٦٤ / ١٩٩١

مطابع الأهرام بكورنيش النيل